

من أسرار النظم في سورة النبأ

الدكتور / يحيى بن محمد بن إبراهيم عطيف

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية

جامعة الملك خالد بأبها



المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فموضوع هذا البحث " من أسرار النظم في سورة النبأ " ، وهو يأتي حلقة ثانية في سياق دراستي لبلاغة القرآن الكريم التي بدأتها ببحث " من بلاغة الدعاء في القرآن الكريم " وستليها حلقات أخرى إن شاء الله تعالى .

ومن أهم الدوافع التي دفعتني إلى بحث هذا الموضوع إيماني بأهمية الدراسة البلاغية التطبيقية التي تتجه إلى تطبيق قواعد البلاغة على النصوص البليغة ولا سيما النص القرآني ؛ لأن في ذلك إمداداً لها بالماء الذي يزيل عنها الجمود والجفاف الذي لحقها في العصور المتأخرة ، فهذه الصلة بين القاعدة البلاغية والنص تحيا الدراسة البلاغية وتزدهر ، فتحقق أهدافها في تربية الأذواق ؛ لمعرفة الإعجاز البياني للقرآن الكريم وفهم قيمه العالية ومعانيه السامية . ومن الدوافع ما رأيته في هذه السورة الكريمة - كغيرها من سور القرآن الكريم - من وفرة مظاهر الإعجاز البلاغي النظمي وتعددتها على الرغم من أنها من قصار السور ، ومع ذلك لم تحظ بدراسة بلاغية مخصصة تبسط القول في استكشاف أسرار نظمها ولطائف بلاغتها .

ويستهدف هذا البحث توظيف قيم البلاغة وقواعدها لتجلية بعض مظاهر الإعجاز النظمي في هذه السورة الكريمة ، وبيان بعض أسرارها ولطائفها . وقد استعنت في إعدادها بكتب التفسير وبخاصة تلك التي عنيت بالجوانب البلاغية كتفسير الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وتفسير أبي السعود (ت ٩٨٢ هـ) وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، مضافاً إليها ما استطعت الوقوف عليه من المصادر القديمة والمراجع الحديثة اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها التي تتصل بموضوع بحثي . وجعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . تحدثت في التمهيد أولاً عن مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره ، وتحدثت فيه ثانياً عن سورة النبأ والغرض منها وأقسامها أو مقاطعها بحسب معانيها وخصائصها .

وقسمت البحث من حيث عناصر النظم إلى ثلاثة فصول :
تحدثت في الفصل الأول: عن خصائص اللفظ ، وفي الفصل الثاني: عن
خصائص التركيب ، وفي الفصل الثالث: عن خصائص التصوير ، وختمت البحث
بخاتمة سجلت فيها بعض النتائج التي انتهت إليها .
وقد اتبعت منهجاً في دراسة أسرار النظم وخصائصه في هذه السورة الكريمة :
أبدأ بتحديد مفهوم الخاصية البلاغية وأشير إلى قيمتها البيانية أو الجمالية ، ثم أورد
لها نماذج من السورة بحسب ترتيب آياتها ، وأقوم بتحليلها بلاغياً محاولاً إبراز
أسرارها وأغراضها البلاغية .
هذا والله أسأل أن يجنبني الزلل ، وأن يوفقني إلى خدمة كتابه الكريم ، والله
الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴿٤﴾
 سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٧﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٨﴾
 وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
 مَعَاشًا ﴿١٢﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٥﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٧﴾ إِنَّ يَوْمَ
 الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتُنَا ﴿١٨﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٩﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴿٢٠﴾
 فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٢١﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٣﴾
 لِلطَّاغِينَ مَنَابِتًا ﴿٢٤﴾ لِيُشِيرْنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا حَمِيمًا
 وَغَسَّاقًا ﴿٢٧﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٩﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 كِذَابًا ﴿٣٠﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣١﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٢﴾ إِنَّ
 لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣٣﴾ حَدَاقًا وَاعْتِبَابًا ﴿٣٤﴾ وَكُوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٥﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٦﴾ لَا
 يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٧﴾ جَزَاءً مِمَّنْ عَطَاءَ حِسَابًا ﴿٣٨﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٩﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
 صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٤٠﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ
 شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٤١﴾ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ
 يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٢﴾ ﴿

التمهيد :

١ - مفهوم النظم عند البلاغيين وعناصره :

وردت مادة " نظم " ومشتقاتها في معاجم اللغة بمعنى التأليف والجمع والاتساق . جاء في لسان العرب : " النظم : التأليف - نظمه ينظمه نظماً ونظاماً ، ونظمه فانتظم وتنظم . ونظمت اللؤلؤ : أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله . ومنه نظمت الشعر ونظّمته ... وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظّمته . والنظم : ما نظّمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما وأحدثه نظّمه . والنظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد . وكذلك هو في كل شيء حتى يقال : ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته . والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ، وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام وجمعه نُظُم . والنظام : العقد من الجوهر والخرز ونحوهما وسلكه خيطه ... والانتظام الاتساق ... " (١) .

وفي الاصطلاح " تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " (٢) .

وقد مر مصطلح النظم بمراحل قبل أن يتحدد مفهومه على النحو الذي يبدو في هذا التعريف الاصطلاحي .

فقد ظهرت فكرة النظم القرآني منذ القرن الثالث الهجري عندما بدأ البحث في إعجاز القرآن إثر تعرض فكرة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم لبعض المطاعن (١)

(١) لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، مادة " نظم " ، دار صادر ، بيروت ، ط ٦ ، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م ، وانظر في المادة نفسها : أساس البلاغة : جاز الله محمد بن عمر الزمخشري ، تح : عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) ، والقاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، بولاق ، القاهرة ، ط ٣ / ١٣٠٢ هـ ، والمعجم الوسيط : إخراج : د . إبراهيم أنيس وزملائه ، ط ٢ / ٢ ، دار الفكر (بلا تاريخ) . وفيه (... ويقال : نظم القرآن : عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة) .

(٢) التعريفات : الشريف علي بن محمد الجرجاني ، تح : إبراهيم الإيباري ، ٣١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ / ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

نتيجة لعوامل متعددة هيأت الجو أمام المشككين منها " سيطرة العناصر الشعبية ، وإمساكها بزمام السلطة ، ورواج الثقافات الأجنبية الوافدة وقيام الفرق الكلامية الإسلامية على أساس الخصومة والمنافرة فيما بينها " ^(٢). حينئذ " مست الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحة (القرآن) ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه " ^(٣). فقد العلماء والأدباء نظم القرآن وجهاً من وجوه إعجازه .

ومن أوائل القائلين بالإعجاز بالنظم أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فقد رد رأي أستاذه إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٢٨هـ) الذي أنكر إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه ، وعلله بالصرفة فقرر أن " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز - كما يقول - أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم " ^(٤). وألف الجاحظ كتابه المشهور المفقود " نظم القرآن " والذي أشار إليه في بعض مؤلفاته الأخرى كقوله في الحيوان مفنداً موقف خصمه : " كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه ... " ^(٥). ومن رأيه في الإعجاز بالنظم قوله : " في كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد " ^(٦) ، وكلمة

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن : عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تح : السيد أحمد صقر ، ٢٤ وما بعدها ، دار التراث ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

(٢) انظر : الإعجاز النظمي للقرآن : د.عبد الحميد العبيسي ، ١٣/١ ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٣) تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، ١٥١/٢ ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧م .

(٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : أبو الحسن الأشعري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢٩٦/١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٢ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

(٥) الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ٩/١ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م .

(٦) المصدر نفسه : ١٣١/٣ .

النظم عند الجاحظ تأتي مرادفة للتأليف ، وتأتي في بعض المقامات بمعنى البيان والإنشاء^(١).

ويتفق ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) مع الجاحظ في رأيه في إعجاز القرآن بالنظم . فيقول في صدر كتابه " تأويل مشكل القرآن " الذي رد فيه على الطاعنين في القرآن والمشككين في أمر إعجازه بالنظم : " الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد . وهدانا بنور الكتاب ... وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ... " ^(٢) . وأشار إلى أسرار النظم القرآني وعناصره ، مثلة في الجمال الصوتي الإيقاعي والمعاني الأصلية الخالدة والمعاني البلاغية ، وبذلك استطاع أن يفتح الطريق لمن أتى بعده من البلاغيين أن يتحدثوا ببراء عن عناصر الكلام ^(٣) .

ويشهد مفهوم النظم في القرنين : الرابع والخامس الهجريين تطوراً بجهود بعض العلماء والأدباء كخطابي والقاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني .

أما الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) فقد ألف رسالة في " بيان إعجاز القرآن " أرجع فيها إعجاز القرآن إلى بلاغته ، وشرع في بيانها ، وانتهى إلى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه . ومن حديثه عن النظم وعناصره قوله : " إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه ... واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً ؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني ... " ^(٤) .

(١) انظر : نظرية عبد القاهر في النظم : د. درويش الجندي ، ٢٣ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

(٢) تأويل مشكل القرآن : ٣ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ٣ وما بعدها ، ومن بلاغة النظم العربي : د. عبدالعزيز عرفة ، ١٤ ، ١٥ ، عالم

الكتب ، بيروت ، ط ٢ / ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م . وانظر : الإعجاز النظمي : ١٨ .

(٤) بيان إعجاز القرآن : حمد بن محمد الخطابي - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تح : محمد خلف الله

أحمد ومحمد زغلول سلام : ٢٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م .

فالخطابي يحصر عناصر الإعجاز - متأثراً بابن قتيبة - في الألفاظ والمعاني ونظوم تأليف العبارة ، ويقف عند هذه العناصر ، ويوضح مراده بالنظم فيقول : إنه " عبارة عن ارتباط الكلمات بعضها ببعض والتتامها ، وأن هذا الارتباط وذلك الالتئام يحدث صورة في النفس يتشكل بها البيان " (١) . ويرى الأستاذ الدكتور أبو موسى أن معنى النظم عند الخطابي قريب من معناه عند عبدالقاهر " لأنه يعني الروابط بين الكلمات والجمل ، وليس هذا إلا توخي معاني النحو كما يقول عبدالقاهر " (٢) .

وأما القاضي عبدالجبار (ت ٤١٥ هـ) فقد خصص الجزء السادس عشر من كتابه " المغني " للحديث عن إعجاز القرآن ، عقد فيه فصلاً لبيان الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام على بعض . عرض فيه رأي شيخه أبي هاشم الجبائي (ت ٣٢١ هـ) الذي نفى أن يكون النظم بمعناه العام وهو اختلاف الطريقة أو مطلق الأسلوب وجهاً من وجوه الإعجاز ومفسراً لفصاحة الكلام ؛ لأن الإعجاز في رأيه يرجع إلى جزالة اللفظ وحسن المعنى اللذين تتحقق بهما الفصاحة . " وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص ، لأن للخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر والنظم مختلف ، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة ، وقد يكون النظم واحداً وتقع المزية في الفصاحة ... " (٣) .

(١) المصدر نفسه : ١٤ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : د. محمد أبو موسى ، ١٢٦ ، دار التضامن ، القاهرة ، ط / ٢ / ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبدالجبار ، تح : أمين الخولي ، ١٦ / ١٩٧ ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ط / ١ / ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ، وانظر : البلاغة القرآنية في كشف الزمخشري : ١٢٦ .

ويتابع القاضي شيوخه فيعلل إعجاز القرآن باختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة^(١). ويحس القاضي نقصاً في مفهوم شيخه أبي هاشم للفصاحة " لأنه لم يلاحظ صورة تركيب الكلام ، وهي أساسية في بلاغة العبارة وفصاحتها "^(٢). فعقد فصلاً آخر أوضح فيه المزية في الفصاحة أو العلة التي بها يتفاضل الكلام في فصاحته ، فنفى علاقتها بالألفاظ من حيث ذواتها وبالمعاني وإن كان لا بد منها ، وربطها بالنظم ، ومما قال : " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضع التي تتناول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع ، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع ... فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال (الاختيار) الذي به تختص الكلمات ، أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع ، أو الحركات التي تختص الإعراب فبذلك تقع المبينة ... "^(٣). والقاضي عبد الجبار يريد بضم الكلمات بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة توخي معاني النحو فيما بين الكلم كما يقول عبد القاهر في تعريفه للنظم كما سيأتي ، يؤيد هذا شرح عبد القاهر لعبارة القاضي عبد الجبار في سياق تفسيره للنظم في كتابه " دلائل الإعجاز "^(٤).

وتأسيساً على ذلك فمفهوم النظم عند عبد الجبار المستفاد من حديثه عن الفصاحة يقترب اقتراباً شديداً من معناه البلاغي الخاص عند صاحب الدلائل كما

(١) انظر : المصدر نفسه : ٣١١/١٦ ، ٣١٨ .

(٢) البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف ، ١١٦ ، دار المعارف ، مصر ، ط ٥ .

(٣) المعنى : ١٩٩/١٦ ، ٢٠٠ .

(٤) انظر : دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ٣٠١ ، ٢ ، ٣ ، تصحيح وتعليق محمد عبده ومحمد رشيد

رضا ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م ، وانظر : بلاغة القرآن في آثار القاضي

عبد الجبار : د. عبدالفتاح لاشين ، ٢١٩ وما بعدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

سيأتي ، فهو لا يريد بنظم القرآن " مجرد طريقة مبتدعة في صياغة الكلام تباين ما عرف العرب من منظوم ومثور ، وإنما انفرد معها برتبة في الفصاحة معجزة ... " (١) .
ويعد " كلامه - كما يقول الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى - مرحلة ثانية في تطور النظم بمفهومه عند عبدالقاهر " (٢) ، ويرى بعض مؤرخي البلاغة العربية أنه بذلك وضع أصول نظرية النظم بمعناها العلمي الدقيق (٣) .

ويعد الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) أبرز من شرح فكرة النظم مستفيداً من جهود السابقين ، فخصص لها كتابه المشهور " دلائل الإعجاز " سعى فيه إلى أن بلاغة الكلام تكون في النظم ، وأن إعجاز القرآن يرجع إلى خصائص في أسلوبه أو نظمه . وللنظم في نظره معنيان : لغوي وبلاغي .

فاللغوي هو " ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق " ويسميه بالنظم في الحروف ، وهو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ... " (٤) .

والبلاغي ويسميه نظم الكلم ، وحقيقته " أنك تقتفي في نظمها (الكلم) آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق (ويعني) التناسق في الدلالة والتلاقي في المعاني على الوجه الذي اقتضاه العقل " (٥) .

ويبين أن المعاني التي يتعلق بها الفكر ويرتبها في النفس إنما هي معاني النحو وليست معاني الكلمات في ذاتها . يقول : " إنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني

(١) الإعجاز البياني للقرآن : د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، ١١٠/١ ، دار المعارف ، القاهرة ،

ط/٢ ، ١٩٨٧ م . وانظر : المغني : ٣٢١/١٦ .

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ١٢٧ .

(٣) انظر : البلاغة تطور وتاريخ : ١١٨ ، ومن بلاغة النظم العربي : ٢٠ .

(٤) دلائل الإعجاز : ٤٠ .

(٥) المصدر نفسه : ٤٠ ، ٤١ .

الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو ، فلا يقوم في وهم لا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم ، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلاً له أو مفعولاً ، أو يريد منه حكماً سوى ذلك من الأحكام ... وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت ، وأزل أجزاءه عن مواضعها ، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها . فقل في " قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل : من نيك قفا حبيب ذكرى منزل ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها ؟ ... " (١)

فواضح مما ذكر أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ في أنفسها ، إنما يتعلق بمعاني النحو التي يقوم على أساسها ترتيب معاني الألفاظ في النفس ، ثم ترتبها على أساس ترتيب معانيها عند تواليها في النطق .

ولذلك يؤمن بأن التفسير الصحيح للإعجاز النظمي ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوية أو معاني النحو كما يسميها . فالنظم عنده هو " توخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام " (٢) . ويريد بمعاني النحو الخصوصيات التي هي مقتضى الحال كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف وغيرها ، والأغراض في التعريف هي الأحوال الداعية إليها أو المعاني الثانوية التي يقصد من الخصوصيات إفادتها (٣) . وبذلك استطاع عبدالقاهر " أن يفسر النظم تفسيراً رده فيه إلى المعاني الإضافية التي تلتبس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس ، وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند إليه

(١) المصدر السابق : ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق : ٦٩ ، ٢٨٢ .

(٣) انظر : بغية الإيضاح للتخصيص المفتاح : عبدالمتعال الصعيدي ، ١٢/١ ، ١٧ ، مكتبة الآداب ومطبعها ، القاهرة ، ط ٦/ (بلا تاريخ) .

والمسند وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال ، وفي الفصل بين الجمل والوصل وفي القصر وفي الإيجاز والإطناب " (١).

وهذه الموضوعات هي التي ألف منها من جاء بعده من علماء البلاغة المتأخرين أبواب علم المعاني. يقول الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ): " وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم " (٢).

ويتوسع عبدالقاهر في مفهوم النظم فيدخل فيه الصور البيانية فهي جزء في النظم وليست سر جماله وإعجازه ، فذهب إلى أن " الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنهما يحدث ، وبها يكون ، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخَّ فيما بينهما حكم من أحكام النحو ... فلا يتصور فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره ... " (٣).

ويعقد في كتابه " دلائل الإعجاز " فصلاً " في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع " عد منه بعض أنواع البديع كالمزاوجة والتقسيم . وذكر أن " ما شأنه أن يجيء على هذا الوصف (ليس له) حد يحصره ولا قانون يحيط به " (٤). وتبعه في هذا فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " فعد من القسم الثاني من النظم ثلاثة وعشرين وجهاً جلها من أنواع البديع المعنوية منها المطابقة والمقابلة (٥).

(١) البلاغة تطور وتاريخ : ١٨٩ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تح : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط / ٥ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٣) دلائل الإعجاز : ٢٩٩ - ٣٠١ . وانظر : البلاغة تطور وتاريخ : ١٦٣ ، ١٦٨ .

(٤) انظر : دلائل الإعجاز : ٧٣ ، ٧٤ .

(٥) انظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، ٢٨٣ - ٢٩٧ ، تح : بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٨٥م .

وهذا الفهم العلمي للنظم عند عبدالقاهر الذي يؤكد الصلة الوثيقة بين التفكير والتعبير يلتقي ومفهوم الأسلوب عند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) الذي يربط الصورة اللفظية بالصورة المعنوية أو الشكل بالمضمون ، وعند بعض الباحثين المعاصرين من أمثال الأستاذ أحمد الشايب الذي يرى أن الأسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة ، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان ، وأنه طريقة التفكير والتصوير والتعبير " (١) .

ومعنى ذلك أن النظم عند عبدالقاهر يعني الأسلوب ، وقد استخدمه في موضع يتيم من كتابه " دلائل الإعجاز " فعرفه بقوله : " والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه ... " مؤثراً مصطلح النظم لشيوعه في الدراسات القرآنية .

هذا ويستمد الزمخشري فهمه للنظم من مفهومه عند عبد القاهر " فنظم الكلام كما يتصوره الزمخشري يعني بيان الروابط والعلاقات بين الجمل ، وكيف يدعو الكلام بعضه بعضاً ، وكيف يأخذ بعضه بحجزه بعض " (٢) . وحاول الزمخشري تطبيق نظرية النظم عند عبدالقاهر في تفسيره الكشاف ، وحاول ذلك غيره من المفسرين كالرازي وأبي السعود وغيرهما .

ودخل مصطلح النظم بمعناه عند عبدالقاهر في كتب التعريفات والمصطلحات فقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : " النظم في اللغة : جمع اللؤلؤ في السلك . وفي الاصطلاح : تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ... على حسب ما يقتضيه العقل " (٣) كما أشرت آنفاً .

(١) الأسلوب : أحمد الشايب : ٤٠ ، ٤٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/ ٦ ، ١٩٦٦ ، وانظر : مقدمة ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون ، ٥٠٥ ، دار التحرير ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م .

(٢) دلائل الإعجاز : ٣٦١ ، وانظر : الاتجاه الأسلوبى في النقد الأدبى : د. شفيح السيد ، ٢٢ ، ٢٣ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٢٣٦ .

(٤) التعريفات : ٢٤٢ .

٢- سورة النبا :

أ. أسماءها وتاريخ نزولها وسببه :

لهذه السورة الكريمة أسماء متعددة . فتسمى سورة النبا لقوله تعالى في مطلعها :
 "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبِ الْعَظِيمِ" ، وبه سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير
 وكتب السنة . وتسمى سورة " عم يتساءلون " وسورة " عم " بدون زيادة
 " يتساءلون " تسمية لها بأول جملة فيها ، وتسمى "التساؤل " لوقوع "يتساءلون "
 في صدرها ، وتسمى سورة " المعصرات " لقوله تعالى فيها : " وأنزلنا من
 المعصرات ماء ثجاجا " (١) . ولا شك في أن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .

وسورة النبا مكية ، ومن قصار السور ، وعدد آياتها أربعون آية ، وعدد
 كلماتها مائة وثلاثون كلمة ، وعدد حروفها ستمائة وتسعون حرفاً (٢) .

وقد نزلت بعد سورة المعارج ، وقد نزلت سورة المعارج بعد الإسراء وقبيل
 الهجرة ، فيكون نزول سورة النبا في ذلك التاريخ (٣) . وقيل في سبب نزولها : " إنه
 لما بعث رسول الله - ﷺ - ، وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت ، وتلا عليهم
 القرآن ، جعلوا يتساءلون بينهم . يقولون : ماذا جاء به محمد ؟ وما الذي أتى به ؟
 فأنزل الله عم يتساءلون ، عن النبا العظيم " (٤) .

(١) انظر : الإتيان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، ١٣/١ ، ١٥ ، ٧٣ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ،
 ط/٤ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٧٨م ، وانظر : التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، ٥/٣٠ ، مؤسسة التاريخ ،
 بيروت ، ط/١ ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

(٢) انظر : تنوير المعبس من تفسير ابن عباس : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ٣٧٨ ، مطبعة مصطفى الحلبي ،
 القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ، وانظر : الإتيان في علوم القرآن : ١٥/١ ، والكشاف : جار الله
 الزمخشري ، ١٧٦/٤ ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .

(٣) انظر : النظم الفني في القرآن : عبدالمعال الصعدي ، ٣٣٧ ، مكتبة الآداب ومطبعها ، القاهرة (بلا تاريخ) .

(٤) انظر : لباب النقول في أسباب النزول : جلال الدين السيوطي ، ٣٢٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/٢ ،

١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ، وفتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، ٣٦٢/٥ ، دار المعرفة ، بيروت (بلا

تاريخ) .

ب - الغرض منها وأقسامها بحسب معانيها :

يقرر الباحثون في بلاغة القرآن أن لكل سورة في القرآن الكريم غرضاً عاماً ترمي إليه ، وتدور حوله آياتها ، وتتبعه معانٍ أخرى تؤكد^(١) .
وسورة النبأ من سور العهد المكي " وهدف ما نزل في هذا العهد من الآيات والسور توطيد أسس العقيدة الإسلامية الجديدة ، وإحلالها محل العقيدة الوثنية "^(٢) .
لذلك فهذه سورة النبأ وغرضها العام يدور حول " إثبات عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون ، والدلالة على أن يوم القيامة ثابت ثباتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً "^(٣) .

وقد اقتضى ذلك الغرض أن تأتي آيات هذه السورة الكريمة مترابطة الأجزاء متسلسلة المعاني ؛ لتحقيق غرضها وتستوفي موضوعها من جميع جوانبها ونواحيها .
ويمكن تقسيم سورة النبأ بحسب معانيها ومضامينها إلى خمسة مقاطع أو أقسام :

١ - افتتحت السورة باستفهام يتضمن استنكاراً لتساؤل المشركين عن النبأ العظيم ، وخوضهم فيه إنكاراً واستهزاء " وكأنا هذا التساؤل غير مفهوم ولا معقول فالأمر بديهي معلوم "^(٤) .

واقضى ذلك تهديدهم ووعيدهم " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ " . وهي افتتاحية مدوية ، تناسب وحال المخاطبين الغافلين لإيقاظهم واستثارة حسهم وحواسهم .

(١) انظر : من بلاغة القرآن : د. أحمد أحمد بدوي ، ٢٣٤ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م .

(٢) من مهمل الأدب الخالد : محمد المبارك ، ٣٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ط / ٤ ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م .

(٣) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين البقاعي ، ٢٩٤/٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ، وصفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، ١٣٥٤/٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

(٤) مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب ، ١٨٨ ، دار الشروق ، بيروت (بلا تاريخ) .

٢ - ثم تقيم السورة الدلائل والبراهين على كمال قدرة رب العالمين على ما يشاء من أمر المعاد وغيره بطريقة برهانية باهرة تضطر العقل إلى التسليم والإذعان؛ فإن الذي يقدر على خلق العجائب والبدائع كالأرض والسماء وما بينهما لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فئاته " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " .

٣ - ولما أثبتت السورة حقيقة البعث والجزاء حددت وقته وميعاده وعلاماته ، وهو يوم الفصل بين العباد ، يوم القيامة ، حيث يجمع الله الأولين والآخرين للحساب " إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا " .

٤ - ثم شرعت السورة في تفصيل أحكام الفصل والجزاء من رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مصورة مصير الطغاة ومصير التقاة ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب في مشهدين متقابلين متضادين : مشهد العذاب للكافرين بكل قوته وعنفه : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَابًا . لِأَيْتِنَ فِيهَا أَحْقَابًا . لَا يَدْخُلُونَهَا فِيهَا بَرْدٌ وَلَا شَرَابٌ . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وَفَاقًا . إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا . وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا . فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا " . ومشهد النعيم للمتقين وهو يتدفق تدفقاً : " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدِيقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا . جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا . رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ... " .

٥ - وتختتم السورة بالحديث عن هول يوم القيامة ، وأنه حق لا ريب فيه ، وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم ، حيث يتمنون حينئذ أن يكونوا تراباً فلا يحشرون ولا يحاسبون " ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَأ . إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا . يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا " .

ذلك تحليل مجمل لمنهج السورة في عرض مضامينها ، ومن خلاله تبدو وحدتها الموضوعية ، فهي نسيج واحد تتسلسل معانيها ، وتتعانق أجزاءها ومقاطعها ؛ لتستوفي مقصودها ، وتحقق هدفها وغرضها العام ، فأياتها من مطلعها إلى ختامها تدور حول محور واحد هو إثبات عقيدة البعث والجزاء ، وتقرير حقيقة يوم القيامة . فمن سؤال استنكاري عن خوض المخاطبين في النبأ العظيم استهزاء وإجابة عنه إلى تهديد يعقبه ، إلى استدلال على ثبوته وصحة وقوعه وتحديد وقته ، وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً ، إلى تأكيد حقيقته وأنه لا ريب فيه ، وإنذار المكذابين له .

هذا وقد جاءت تلك المقاصد والمعاني في نظام بيانيّ فريد ، وفي نسق بلاغي معجز يتبوأ من البلاغة ذروتها . وفيما يأتي دراسة لأسرار نظم هذه المعاني ، وخصائصه البلاغية ، مقسمة بحسب عناصر النظم وأجزائه : اللفظ والتركيب والتصوير .

* * *

الفصل الأول : من خصائص اللفظ في سورة النبأ :

إذا كانت اللفظة في الاستخدام العادي للغة أداة في توصيل المعنى ، فهي في الاستعمال البليغ وسيلة جمالية تسهم داخل العبارة أو النص في نقل الأفكار والمعاني وتصويرها بغية الإقناع والإمتاع والتعبير والتأثير .

وقد اهتم العرب بألفاظهم ودققوا في انتقائها ؛ لتؤدي وظيفتها . يقول ابن جني مشيراً إلى هذا الاهتمام : " فإنها (الألفاظ) لما كانت عنوان معانيها ، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميتها ، أصلحها ، ورتبها ، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع ، وأذهب بها في الدلالة على القصد " (١) . وعنايتهم باللفظ نابعة من عنايتهم بالمعنى لأن " اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ... " (٢) .

ولذلك عني البلاغيون والنقاد بالألفاظ مفردة ومركبة ، ووضعوا لها صفات ومقاييس تحسن بها إذا توفرت فيها ، وتقبح إن خلت منها ، وهي مبثوثة في كتب البيان والبلاغة كالبيان والتبيين وسر الفصاحة والمثل السائر (٣) ، وقد أجملها البلاغيون المتأخرون في قولهم : " أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف

(١) الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي النجار ، ٢١٥/١ ، ٢١٦ ، دار الكتب المصرية ط/٢ ، ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : الحسن بن رشيق القيرواني ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٢٤/١ ، دار الجيل ، بيروت ، ط/٤ ، ١٩٧٢ م .

(٣) انظر : البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ٨٣/١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٧٨ . ط/٤ ، بيروت ، ١٩٤٨ م ، وانظر : سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، تح : عبدالمتعال الصعيدي ، ٥٤ ، ٨٢ ، مطبعة صبيح ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م ، وانظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير ، تح : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، ٤٥١ - ٢٤٥/١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط/٢ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

والغرابة ومخالفة القياس اللغوي...وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها..."^(١).

والقرآن الكريم نزل " بلسان عربي مبين " ، وألفاظه - كما يقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : " هي لب كلام العرب وزيدته ، وواسطته وكرائمه ... " ^(٢) . والمفردة القرآنية لها من حيث ذاتها أي بغض النظر عن موقعها من الآية أو الجملة خصائص جمالية تلتقي في عمومها مع السمات الجمالية للفظة المفردة في غير القرآن ، ثم تتجاوزها إلى الإعجاز بما لها من خصائص في سياقها الذي ترد فيه .

ومن خصائص اللفظة القرآنية تميزها بدقة اختيارها ، وجمال وقعها في السمع ، واتساقها الكامل مع المعنى ، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى ^(٣) .

ومن مظاهر تميز اللفظة في سورة النبأ الدقة في اختيارها ووضعها في موضعها فهي مختارة من بين مجموعة من الألفاظ وهو اختيار اقتضاه دقة معنى الآية أو الجملة الواردة فيها ، وهي متمكنة في موقعها في الجملة كأنها خلقت لذلك خلقاً .
وقد دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال تعالى : " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " ^(٤) .

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : ١٢/١ ، ١٧ .

(٢) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، تح : محمد خليل عيتاني ، ١٠ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .

(٣) انظر : التعبير الفني في القرآن : د. بكرى شيخ أمين ، ١٨١ ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

(٤) سورة الحجرات : ١٤ .

وقد نبه علماء البيان والمفسرون إلى هذه الخاصية في نظم القرآن كالجاحظ^(١) والخطابي^(٢) وابن عطية الذي قال: "كتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد..."^(٣).

- واختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها تبدو في سورة النبأ - كسائر سور القرآن الكريم - في غاية الدقة والإبداع المعجز ، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها تستخدم السورة منها ما يؤدي معناه في دقة فائقة ، فكل لفظة منها وضعت لتؤدي نصيبتها من المعنى أقوى أداء . من ذلك لفظة "النبأ" في مطلع هذه السورة الكريمة "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ" . فالمراد بالنبأ العظيم القرآن ، وقيل : البعث من القبور ، وهو رأي الجمهور ، وهو الأظهر كما يقول ابن كثير^(٤) ، وهو الأنسب بالآيات كما يقول الألويسي^(٥).

وأوثر التعبير بلفظ "النبأ" على الخبر لأنه أدق في أداء المعنى المراد لأن النبأ الخبر عن أمر عظيم هام يعنى به ويهتم بشأنه . يقول الراغب "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة ، يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة (ويكون صادقاً) ..."^(٦) . ويقول صاحب التحرير والتنوير : " وهذا فرق حسن ، ولا أحسب البلغاء جروا إلا على نحو ما قال الراغب ، فلا يقال للخبر عن الأمور المعتادة : نبأ ..."^(٧) . وإذا كان "النبأ" لا يقال إلا لخبر عظيم الشأن فما السر

(١) انظر : البيان والتبيين : ٢٠/١ ، وانظر : بيان إعجاز القرآن : ٢٦ .

(٢) انظر : البيان والتبيين : ٢٠/١ ، وانظر : بيان إعجاز القرآن : ٢٦ .

(٣) المحرر الوجيز : ابن عطية الأندلسي ، تح : المجلس العلمي بفاس ، ٣٨/١ ، ٣٩ ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تح : سامي بن محمد السلامة ، ٣٠٢/٨ ، دار

الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، وروح المعاني : شهاب الدين محمود الألويسي ، ٢٠١/٥ ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ط ١/ ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م ، والتفسير الكبير : فخر الدين محمد بن عمر الرازي ،

٥٠٤/٣١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١/ ١٤٢١ هـ ، والمحرر الوجيز : ٤٢٣/٥ ، ونظم الدرر :

٢٩٥/٨ ، وفتح القدير : ٣٦٢/٥ ، وصفوة التفاسير : ١٣٥٥/٣ .

(٦) المفردات في غريب القرآن : ٤٨٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ٩/٣٠ .

البلاغي في وصفه بالعظيم في هذه الآية؟ يقول صاحب نظم الدرر: " ... ولما كان في مقام التفضيم له وصفه تأكيداً بقوله: العظيم" (١). ففي الوصف "زيادة في التنويه به؛ لأن كونه وارداً من عالم الغيب زاده عظم أوصاف وأهوال ... " (٢).

- ومن الدقة في اختيار الألفاظ ما نلاحظه في آيات المقطع الثاني الواردة في سياق الاستدلال على صحة وإمكان البعث بخلق المخلوقات العظيمة الدالة على قدرة الخالق - سبحانه وتعالى - على إعادة خلق الإنسان بعد فناءه: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ... " .
تأمل هذه الآيات الكريمة تجدها أثرت التعبير بفعل " جعلنا " عند الاستدلال بخلق الأرض والجبال ونظام النوم في الإنسان والليل والنهار والشمس دون فعل خلقنا الذي استعمل عند الاستدلال بخلق الإنسان في " وخلقناكم أزواجاً " وذلك " لأن فعل الجعل يتعلق بالأحوال وفعل الخلق يتعلق بالذوات " (٣).

فجعل الأرض مهاداً يعني خلقها على تلك الحالة مهيأة للخلائق ذلولا لهم ساكنة ثابتة للاستقرار عليها (٤). فاختر التعبير بنجعل دون نخلق " لأن كونها مهاداً حالة من أحوالها عند خلقها أو بعده بخلاف فعل الخلق فإنه يتعدى إلى الذات غالباً، أو إلى الوصف المقوم للذات نحو: " الذي خلق الموت والحياة " (٥).

ومثله يثار التعبير بجعلنا في " وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا " على خلقنا؛ لأن النوم كيفية يناسبها فعل الجعل لا فعل الخلق المناسب للذوات. وكذلك قوله " وَجَعَلْنَا

(١) نظم الدرر: ٢٩٥/٨ .

(٢) التحرير والتنوير: ٩/٣٠ .

(٣) المرجع السابق: ١٢/٣٠ ، ١٧ .

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠٢/٥ ، وصفوة التفسير: ١٣٥٥/٣ .

(٥) التحرير والتنوير: ١٣/٣ .

اللَّيْلِ لِيَأْسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا " . وآثر التعبير بفعل الخلق في " وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا " ؛ " لأنه تكوين ذواتهم فهو أَدق

من الجعل ... فالمقصود الاستدلال بخلق الناس ، ويكونهم أزواجاً ، فلما كان المناسب لفعل خلقنا أن يتعدى إلى الذوات جيء بمفعوله ضمير ذوات الناس (كاف الخطاب) ، ولما كان المناسب لكونهم أزواجاً أن يساق مساق إيجاد الأحوال جيء به حالاً من ضمير الخطاب في خلقناكم ، ولو صرح له بفعل لقييل : وخلقناكم وجعلناكم أزواجاً" (١) .

- ومن الدقة إشار التعبير بفعل " لنخرج " دون لنبيت في قوله تعالى " وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " . لأن المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام ألا ترى أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة (ق) هو الامتنان جيء بفعل " أنبتنا " في قوله : " وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ " . ثم أتبع ثانياً الاستدلال به على البعث بقوله : " كَذَلِكَ الْخُرُوجُ " ، والبعث خروج من الأرض . قال تعالى : " وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى " ... ووجه إشار لفظ " جنات " في قوله " وجنات أَلْفَافًا " لأنه فيه إيماء إلى إتمام المنة ؛ لأنهم كانوا يحبون الجنات والحداثق لما فيها من التنعم بالظلال والثمار والمياه وجمال المنظر ، ولذلك أتبع بوصف " أَلْفَافًا " لأنه يزيدها حسناً ... " (٢) .

- وإذا انتقلنا إلى المقطع الرابع من السورة الذي يصور عذاب الكافرين " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ... فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا " فسجد إبداعاً معجزاً في اختيار المفردات " جهنم ، مرصاداً ، للطاغين ، أحقاباً ، حميماً ، غساقاً " ففيها ضخامة

(١) المرجع السابق : ١٦/٣٠ .

(٢) المرجع السابق : ٢٥/٣٠ .

تملاً الفم ، ورعب يملأ الفؤاد ، ولو أبدلت في غير القرآن بمرادفاتھا لتغيرت الصورة ولخلت من التأثير ، وانظر إلى " الأحقاب " في قوله : " لا يثين فيھا أحقاباً " ، وأوثرت على الأيام " لأن الأحقاب - كما روى القرطبي - أهول في القلوب ، وأدل على الخلود " (١) .

- وإذا تأملنا المشهد المقابل الذي يصف نعيم المتقين " إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ... " فسجد الإبداع المعجز في اختيار المفردات ، ومنه يثار " مفازا " والمراد بها الجنة ونييمها ، وأوثرت على الجنة " لأن في اشتقاقها إثارة الندامة في نفوس المخاطبين بقوله : " فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " ويقوله : " فَذُوقُوا فَلَنْ نُّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا " (٢) .

وخص " الرحمن " بالذكر في قوله : " رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا " دون غيره من الأسماء الحسنى " لأن في معناه إيماء إلى ما يفيضه من خير على المتقين في الجنة هو عطاء رحمن بهم .

وفي ذكر هذه الصفة الجليلة تعريض بالمشركين إذ أنكروا اسم الرحمن الوارد في القرآن كما حكى الله عنهم بقوله : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ " (٣) .

وإطلاق صفة الرحمن في قوله : " إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ... " على مقام الجلالة إيماء إلى أن إذن الله لمن يتكلم في الكلام أثر من آثار رحمته ؛ لأنه إذن فيما يحصل به نفع لأهل المحشر من شفاعة أو استغفار (٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تح : هشام البخاري ، ١١٩/١٠ ، دار

إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١/ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

(٢) التحرير والتنوير : ٣٩/٣٠ .

(٣) سورة الفرقان : ٦٠ ، وانظر المرجع نفسه : ٤٤/٣ .

(٤) التحرير والتنوير : ٤٧/٣٠ .

- تنوع التعبير باللفظ عن المعنى :

ومن خصائص اللفظ في سورة النبأ تنوع التعبير به عن المعنى المراد ، وهذا التنوع يأتي لمعانٍ وأسرار بلاغية ، ترتبط بموقع الكلمة في سياق النظم الذي وردت فيه ، ويتمثل ذلك في الصيغ والظواهر البلاغية الآتية : التنكير والتعريف ، والإظهار والإضمار ، والتعبير بالماضي عن المستقبل والالتفات .

أ - التنكير والتعريف :

وهما من أحوال أجزاء الجملة ، والمعنى الأصلي للتنكير الدلالة على فرد غير معين من أفراد الجنس ، ويأتي لمعانٍ بلاغية ^(١) تستفاد من علاقة الكلمة النكرة بالسياق والمقام الذي وردت فيه ، ومنه في سورة النبأ قوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا " فتكبير " ماء " لإفادة التكثير . ومنه تنكير " أفواجا " للتكثير في قوله : " يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " والمراد بالنفخة نفخة البعث من القبور إلى الموقف ، وأفواجا : أي جماعات جماعات وأممًا أممًا .

ومنه تنكير " خطابا " في قوله : " لا يملكون منه خطابا " والمعنى : لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه ، والتنكير للتقليل أي لا يملكون معه خطاباً ولو كان قليلاً ، جملة أو كلمة . ومنه تنكير " عذابا " للتحويل في قوله : " إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا " فهو لبيان شدة العذاب وقسوته ، ووصفه بأنه قريب لتحقيق وقوعه ، وعبر بكلمة " أنذرناكم " لما لها من الفاعلية في التخويف ، فالإنذار ينبيئ بنهاية التخويف ويعد مده ^(٢) .

والتعريف ضد التنكير ، ويأتي لمعانٍ بلاغية تختلف باختلاف أنواع المعارف ^(٣) .

ومنه في هذه السورة الكريمة تعريف " النبأ " باللام أو بـأل في قوله " عن النبأ العظيم "

(١) انظر : بغية الإيضاح : ١٠١/١ وما بعدها ، ٣٠٢ وما بعدها .

(٢) انظر : التحرير والتنوير : ٩/٣٠ ، ١٠ ، وانظر : البلاغة القيمة : د. عبدالقادر حسين ١٤ ، ١٥ ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

(٣) انظر : بغية الإيضاح : ٨٢/١ وما بعدها ، ٢٠٢/١ وما بعدها .

فالتعريف فيه للجنس على وجه ، فيشمل كل نبأ عظيم أنبأهم الرسول ﷺ به ، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله ، وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك ، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة ^(١) .

ومن تعريف المسند إليه بالإشارة للتعظيم قوله : " ذلك اليوم الحق ... " ففي ذلك " إشارة إلى يوم القيامة ، تفيد بعد منزلته وتعظيمه ، وهو حق لأنه يدمغ كل باطل ، وعرف اليوم "الحق" باللام للدلالة على كماله في هذا المعنى ، وفيه تخصيص له بالحق وما عداه فهو باطل ^(٢) .

ب- الإضمار في موضع الإظهار والإظهار في موضع الإضمار :

وهما من صور خروج اللفظ على خلاف مقتضى الظاهر ، وخروج الإضمار والإظهار عن مقتضى الظاهر لنكت وأسرار بلاغية ^(٣) . يسهم في تحديدها سياق الكلام وقرائن الأحوال ، ويدركها من كان ذا ذوق بلاغي سليم .

ومن الإضمار في مقام الإظهار قوله تعالى : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " فالضمير في "يتساءلون" لكفار قريش ، وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حساً ، مع ما في الإضمار من التحقير والإهانة لإشعاره بأن ذكرهم مما يصاب عنه ساحة الذكر الحكيم . وأجاز بعض المفسرين أن يكون ضمير يتساءلون للناس عموماً ، فيشمل الكافرين والمؤمنين . وسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وإيماناً ، وسؤال غيرهم

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٩/٣٠ ، ١٠ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي : ٣٢٢/٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م ، والبلاغة القيمة : ١٤ .

(٣) انظر : بغية الإيضاح : ١٤٧/١ - ١٥٠ ، وانظر : علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ، ١٤٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

ليزدادوا كفرةً وطغياناً^(١)، وهو خلاف ما يقتضيه الوعيد في قوله: "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" فإنه إنما يتوجه إلى الكفار.

ومن الإظهار في مقام الإضمار قوله تعالى: "لِلطَّاغِينَ مَآبَا" فالمراد بالطاغين المشركون المخاطبون بقوله: "فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا" وعدل عن الإضمار إلى الإظهار لقصد الإيماء إلى سبب جعل جهنم لهم؛ لأن الشرك أقصى الطغيان. فالمشركون أعرضوا عن عبادته تعالى وهم المقصود من معظم ما في السورة. فالتعبير بالطاغين إظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بوصف الطغيان؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: لكم مآبا. وهذا على عد جملة "إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا" في موضع خبر ثان من قوله: "إِنْ يَوْمَ الْفُجْرِ... " ويجوز أن تكون جملة "إِنْ جَهَنَّمَ..." مستأنفة استئنافاً بيانياً عن جملة "إِنْ يَوْمَ الْفُجْرِ" وعليه فليس في قوله "لِلطَّاغِينَ مَآبَا" تخريج على خلاف مقتضى الظاهر^(٢).

ومن الإظهار في موضع الإضمار قوله تعالى: "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا. يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" فإظهار الرحمن في مقام الإضمار "للإيدان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى..."^(٣).

ومن وضع الظاهر موضع المضمرة قوله: "يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا" فالمراد بالمرء - كما يقول المفسرون - الكافر لقوله تعالى: "إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا" وعليه فالكافر وضع موضع الضمير لزيادة الهم. وقيل: المرء عام للمؤمن والكافر وقيل: هو المؤمن، وعليهما فلا شاهد في الآية^(٤).

(١) انظر: التفسير الكبير: ٤/٣١، والمحجر الوجيز: ٤٢٣/٥، وروح المعاني: ٢٠٢/١٥، وفتح القدير: ٣٦٣/٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/٣١-٣٣.

(٣) تفسير أبي السعود: ٣٦٢/٦.

(٤) انظر: الكشاف: ١٨٠/٤، وتفسير أبي السعود: ٣٣٣/٦، وروح المعاني: ٢٢٤/١٥.

ج - التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي :

ومن صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر المتصلة بصيغ الأفعال التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي " تنيها على تحقق وقوعه " (١).

ومنه في سورة النبأ قوله تعالى : " وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا " فقد فسر الفتح بالشق ، وعبر بالماضي ليدل على تحقق وقوع الفعل أي تفتح السماء على وجه اليقين لتنزل الملائكة . وكانت بمعنى صارت ، وقرئ بالتشديد " فُتِحَتْ " وهو الأنسب . كما يقول المفسرون - بقوله : " فكانت أبوابا " لدلالة تنكير " أبوابا " على التكرير أي كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة ، وإيثار التعبير بالفتح " للإشارة إلى كمال قدرته تعالى حتى كان شق هذا الجرم العظيم لفتح الباب سهولة وسرعة " (٢).

ومنه قوله : " إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا " فكان بمعنى يكون وعبر عن المستقبل بالماضي لتحقيق وقوعه . وقيل كان في الآية لا تفيد المضي ؛ لأن يوم الفصل غير مقيد بالزمن الماضي ، فهو أمر مقرر لا جدال فيه ، قبل حدوث الزمان أيضا ولذا أكد بأن وعلى هذا فلا شاهد في الآية (٣).

ومنه قوله : " وقال صوابا " أي ويقول ، فعبر عنه بالماضي لإفادة تحقق ذلك في علم الله .

د - الالتفات :

وهو من صور الخروج عن مقتضى الظاهر ، ويدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء . وهو عند جمهور البلاغيين " التعبير عن معنى بطريق من

(١) انظر : بغية الإيضاح : ١٦٢/١ .

(٢) روح المعاني : ٢١٢/١٥ ، وانظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٨/٦ ، والبلاغة القيمة : ١٠ .

(٣) انظر : روح المعاني : ٢١٢/١٥ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٨/٦ ، والبلاغة القيمة : ٩ .

الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها " (١) . وعند الزمخشري والسكاكي مخالفة مقتضى الظاهر في التكلم والخطاب والغيبة سواء تقدم التعبير عنه أم لا (٢) . وهو فن من البلاغة يكسب الأسلوب تلويحاً وتنويعاً يجذب السامع ، ويشير انتباهه فتزداد المعاني تقريراً في نفسه .

وهو ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم ، ويرد في صور متعددة (٣) . ومنه في سورة النبأ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " فيكون الضمير جماعة المخاطبين ، ومقتضى الظاهر أن يقال : " تتساءلون " . ويجوز أن يكون ضمير يتساءلون ضمير جماعة الغائبين مراداً به المشركون كما أسلفت ، وعليه فلا يكون من باب الالتفات (٤) . ومنه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب على قراءة " سَتَعْلَمُونَ " بالتاء . يقول أبو السعود : " وقرئ " ستعلمون " بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق مما بعده من الخطابات تشديداً للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما تُؤهم ، فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى " (٥) . ويقول صاحب نظم الدرر : " إنه أعظم في الوعيد وأدل على الاستعطاف للمتألم " (٦) .

(١) انظر : لسان العرب " لفت " ، وبغية الإيضاح : ١٥٢/١ .

(٢) انظر : الكشف : ١٠/١ ومفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، ٩٦ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م .

(٣) انظر : مفتاح العلوم : ٩٦ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٨١/٢ ، والإيضاح : ١٥٧/١ وما بعدها .

(٤) انظر : التحرير والتنوير : ٨/٣٠ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٣٥٤/٦ ، وانظر : روح المعاني : ٢٠٤/١٥ .

(٦) نظم الدرر : ٢٩٦/٨ .

ومنه قوله : " ألم نجعل الأرض مهادا " التفات من الغيبة إلى الخطاب على القراءة المشهورة في " سيعلمون " بالياء للمبالغة في الإلزام والتبكيث ^(١). يقول ابن عاشور : " والكلام موجه إلى منكري البعث وهم الموجه إليهم الاستفهام ، فهو من قبيل الالتفات ؛ لأن توجيه الكلام في قوة ضمير الخطاب بدليل عطف " وخلقناكم أزواجاً " ^(٢).

* * *

(١) انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٤/٦ ، ٣٥٥ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢/٣٠ .

الفصل الثاني : من خصائص التركيب في سورة النبأ :

التركيب عند النحاة مقابل للإفراد ، ويطلق في اصطلاحهم على الجملة " المفيدة فائدة يحسن السكون عليها " (١). والجملة القرآنية بناء محكم ، تألفت من كلمات قد اختيرت أدق اختيار ، وانتظمت في سلك من النظام ، فلا ضعف ولا تعقيد ، بل حسن تأليف ودقة تنسيق ، وتلاؤم وإحكام وإتقان .

" وهي تتبع المعنى ... فتصوره بألفاظها ؛ لتلقيه في النفس حتى إذا استكملت الجملة أركانها برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم ، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية ... ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا مَعْدَى عنه ... " (٢).

وإذا كان علماء البلاغة يجعلونها في درجات أو طبقات ، فإنهم مقرّون بأن نظم القرآن وبناء جملة وتراكيبه في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو حدّ الإعجاز القرآني .

ومن خصائص الجمل والتراكيب في سورة النبأ تنوعها إلى جمل إنشائية وخبرية واسمية وفعلية ، ومن خصائصها التقديم والتأخير والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وفيما يأتي دراسة لبلاغتها وأسرار النظم القرآني فيها .

١ - الجملة الخبرية والإنشائية :

تنقسم الجملة المفيدة إلى قسمين : خبرية وإنشائية . ويعرّف الخبر بأنه " كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده ، كقولك : قام زيد ، فقد أفدته العلم

(١) شرح ابن عقيل : بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ١٩/١ ، المكتبة

العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

(٢) من بلاغة القرآن : ١٠٥ .

بقيامه ... " (١). ويعرف أيضاً بأنه : " كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته " (٢).
والجملة الخبرية هي الغالبة في سورة النبأ ، وقد أتت مؤكدة بتكرار الجملة لتأكيد
الإنذار والوعيد كقوله تعالى : " كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ " ، وقد وردت
مؤكدة بأدوات التوكيد على صورة الخبر الطلبي أو الإنكاري كقوله تعالى : " إِنَّ يَوْمَ
الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا " وهو تأكيد اقتضاء حال المخاطبين المتسائلين عن النبأ العظيم
المختلفين فيه بين شاك فيه ومكذب به أو منكر له (٣). وجاءت الجملة الخبرية مؤكدة
للدلالة على الاهتمام بالخبر لثلا يشك فيه أحد كقوله تعالى : " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا "
وكقوله تعالى : " إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا " فالتأكيد بيان في الآية للاهتمام بالخبر
وليس لرد الإنكار إذ لا ينكر أحد أنهم لا يرجون حساباً ، أي لا يرجون وقوع
الجزاء ، وأنهم مكذبون بالقرآن (٤).

وقد أتت الجملة الخبرية مؤكدة بالقصر على رأي من يعده من أساليب
التوكيد (٥) في قوله تعالى : " لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا "
وفي قوله : " لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " .

وجاءت الجملة الخبرية اسمية تفيد الثبوت كقوله تعالى : " الَّذِي هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ " فصلة الموصول جملة اسمية للدلالة على الثبات ، فاختلافهم في النبأ
العظيم متمكن منهم دائم فيهم ، فمن جازم باستحالته ، ومن شاك فيه ، ومن منكر

(١) البرهان في وجوه البيان : إسحاق بن إبراهيم بن وهب ، ٩٣ ، تح : د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

(٢) انظر : مفتاح العلوم : ٧٨ .

(٣) انظر : فتح القدير : ٣٦٣/٥ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير : ٣٥/٣٠ ، ٣٩ .

(٥) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعراب : جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري ، ٣٩ ، دار الفكر ، ١٩٦٩ م .

للقيامة والبعث . ومن بدائع النظم في هذه الآية تقديم الجار والمجرور "فيه" على "مختلفون" لبيان أهمية النبا الذي اشتد الخلاف حوله ورعاية للفواصل^(١).

ووردت الخبرية فعلية ، تفيد التجدد والحدوث كقوله تعالى : "يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا" ومن بلاغة النظم في هذه الآيات الكريمة حذف المسند إليه وبناء الفعل للمفعول في "ينفخ ، وفتحت ، وسيرت" ، وغرضه البلاغي توجيه المخاطب لهذه الأحداث العظيمة دون أن يشغل بغيرها .

وأما الإنشاء فهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته . وينقسم إلى طلبي وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، وأنواعه : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء . وغير طلبي وهو ما لا يستدعي مطلوباً كصيغ المدح والذم ، وصيغ العقود والتعجب والرجاء^(٢).

والجملة الإنشائية في سورة النبا من القسم الأول الطلبي وتأتي على صور متعددة . فمنها ما ورد بصيغة الاستفهام كقوله تعالى : "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" . قال الزجاج : "اللفظ لفظ استفهام ، والمعنى تفخيم القصة كما تقول : أي شيء زيد إذا عظمت شأنه"^(٣) . فالاستفهام في الآية ليس على حقيقته إنما جاء لتفخيم ما يتساءلون عنه وتعظيمه ، فالمعنى عن أي شيء عظيم الشأن يتساءلون . وقد كان المشركون يتساءلون عن النبا العظيم ، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين^(٤).

(١) انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٣/٦ والتحرير والتنوير : ١٠/٣٠ .

(٢) انظر : شروح التلخيص : سعد الدين التفتازاني ، بهاء الدين السبكي ، ابن يعقوب المغربي : ١٦٣/١ .

١٩٠ ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧ م ، وبغية الإيضاح : ٣٢/٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجاج ، تح : د. عبد الجليل شلبي ، ٢٧١/٥ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٤) انظر الكشاف : ١٧٦/٤ ، والبحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، ٤١٠/٨ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ط ٢ ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م ، وصفوة التفسير : ١٣٥٥/٣ ، وتفسير البيضاوي المسمى أنوار

وجاءت صيغة الاستفهام للتقرير في قوله تعالى : " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا " وما عطف عليه ؛ لأنها تنفي النفي فيكون إثباتاً ، أي أقررت بأن الله جعل لكم الأرض مهاداً وفراشاً .

ومنها ما ورد بصيغة الأمر للتوبيخ والتقريع في قوله تعالى : " فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا " ، والأمر في الآية مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات . قال الرازي : " هذه الفاء للجزاء ، فنبه على أن الأمر بالذوق معلل بما تقدم من قبائح أفعالهم " ^(١) . والمعنى " فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثكم إلا عذاباً فوق عذابكم " ^(٢) . وهذه الآية في غاية الشدة على الكفار فقد روي عن النبي - ﷺ - أنه قال : " هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار ، كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه " ^(٣) ودقة نظمها دال على المبالغة في التعذيب . فالأمر بالذوق جاء على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب " للمبالغة لتقدير إحضارهم وقت الأمر ليخاطبوا بالتقريع والتوبيخ وهو أعظم في الإهانة والتحقير " ^(٤) ، وجملة الاستثناء جاءت مصدرة بحرف " لن " المفيد تأكيد نفي ترك الزيادة أو تأكيد معنى الخلود في العذاب وفي ذلك ما فيه من الدلالة على تبالغ الغضب وشدته ^(٥) .

التنزيل وأسرار التأويل : عبدالله بن عمر البيضاوي : ٥٦٠/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١
١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م .

(١) انظر : فتح القدير : ٣٦٧/٥ ، والتفسير الكبير : ١٨/٣١ .

(٢) صفوة التفاسير : ١٣٥٧/٣ .

(٣) التفسير الكبير : ١٨/٣١ ، وانظر : تفسير البيضاوي : ٥٦٢/٢ ، وتفسير أبي السعود : ٣٦٠/٦ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣٠٧/٨ ، ٣٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/١٠ وفتح القدير : ٣٦٨/٥ .

(٤) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي : شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي : ٣٩١/٩ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود : ٣٦٠/٦ ، والتحرير والتنوير : ٣٨/٣٠ .

ومن الجملة الإنشائية الطلبية ما ورد بصيغة التمني كقوله تعالى : " وَيَقُولُ
الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا " . فال في الكافر تفيد جنس الكافر الذي يتمنى أن يكون
تراباً في الدنيا فلم يخلق ، أو تراباً في الآخرة فلم يبعث ، وذلك لما يشاهده من
أنواع العذاب ، وعبر " بليت " لعلمه أن أمنيته لن تتحقق أبداً^(١) .

هذا ولا شك في أن الانتقال من أسلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر وعكسه في
آيات هذه السورة الكريمة له قيمته البلاغية ، فهو ضرب من التلوين في النظم يحرك
النص ويث فيه الحياة ، ويجدد نشاط السامع ويعينه على إدراك المعاني وفهمها .

٢ - التقديم والتأخير :

يمكن تعريف التقديم في نظم الكلام بأنه " تبادل في المواقع ، تترك الكلمة مكانها
في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى ، لنؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤدي لو أنها
بقيت في مكانها الذي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي "^(٢) .

وهو من الأساليب الهامة في التعبير ، ومن مظاهر القوة فيه ، وقد عني به
البلاغيون ومن أبرزهم عبدالقاهر الذي بسط القول فيه^(٣) ، وأشار إلى أهميته ومما
قال : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال
يَفْتَرُّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ... "^(٤) . وهو من خصائص التراكيب في
سورة النبا ، فقد عدلت بعض أجزاء الجملة في بعض آياتها عن مقتضى الظاهر ،
فقدم ما حقه التأخير ، وأخر ما حقه التقديم ؛ لأغراض ودواع بلاغية ومنه ما
يأتي :

(١) انظر : فتح القدير : ٣٧٠/٥ ، والبلاغة القيمة : ١٥ .

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : د. منير سلطان ، ١٣٨ ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط ١/ ،
١٩٨٨ .

(٣) انظر : دلائل الإعجاز : ٨٣ - ١١١ .

(٤) دلائل الإعجاز : ١٨٩ .

تقديم الظرف على المفعول في قوله تعالى " وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا " للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل ، فإن ما حقه التقديم إذا أخرجت النفس مترقبة له ، فإذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن^(١) .

ومنه تقديم الحب على النبات وتأخير الجنات في قوله : " لِتُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " . يقول الرازي : " وإنما قدم الله تعالى الحب (مع تأخره عن النبات في الإخراج " ؛ لأنه هو الأصل في الغذاء " يعني لأنه الأهم حيث يتقوت به ولكثرة نفعه وشدة الحاجة إليه فهو غذاء الإنسان في الغالب " ، وإنما ثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات إليه ، وإنما أخرج الجنات ؛ لأنه الحاجة إلى الفواكه ليست ضرورية (مثل الحاجة إلى الحب والنبات)^(٢) .

ومنه تقديم " للطاغين " على " مآب " فهو متعلق به ، قدم عليه لإدخال الرّوع على المشركين الذين بشرتهم طغوا على الله . يقول صاحب التحرير : وهذا أحسن . ولك أن تجعله متعلقاً بمرصاداً " أو متنازعاً فيه بين " مرصاداً ومآباً " ^(٣) . أو لذلك مع إفادة التخصيص . والمعنى إن جهنم مرصاد لكل ومآب للطاغين خاصة . وهم طاغون لاعتقاداتهم الباطلة وديانتهم الزائفة^(٤) .

ومنه تقديم خبر إن على اسمها في " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا " للاهتمام به تنويهاً بالمتقين وهم المؤمنون الذين آمنوا بالنبي - ﷺ - واتبعوا ما أمرهم به ، واجتنبوا ما نهاهم عنه ؛ لأنهم المقصود من مقابلتهم بالطاغين المشركين .

(١) تفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ .

(٢) التفسير الكبير : ٩/٣١ ، وانظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٩/٦ ، وروح المعاني : ٢١٠/١٥ ، والبلاغة القيمة : ٩ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٣٢/٣٠ .

(٤) انظر : البلاغة القيمة : ١٠٠ .

٣- الإيجاز والإطناب :

الإيجاز - كما يقول السكاكي - هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط ، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل ... " (١) أو هما - كما يقول الخطيب القزويني : " تأدية أصل المراد بلفظ ناقص عنه وافٍ أو زائد عليه لفائدة " (٢) . وهما من أهم أساليب البلاغة وفنونها حتى روي عن بعضهم أنه قال : " البلاغة هي الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل " (٣) . قال صاحب الكشاف : " كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز ، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع ... " (٤) .

أ- والبلاغيون يقسمون الإيجاز إلى إيجاز قصر وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى : " ولكم في القصاص حياة " (٥) وإيجاز حذف وهو ما يكون بحذف . والمحذوف إما حرف أو كلمة أو جملة أو جمل ، ويأتي لأغراض ومعان بلاغية ، ويكثر الحذف في سورة النبأ ، وسأعرض نماذج له مرتبة بحسب ترتيب الآيات في هذه السورة الكريمة .

- فمنه حذف الألف في " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " أصلها عن ما ، فأدغمت النون في الميم وحذفت الألف لتمييز الخبر عن الاستفهام ، وللتخفيف لكثرة استعماله ودورانه في الكلام (٦) . وأضاف صاحب نظم الدرر إلى ذلك " الإشارة إلى أن هذا

(١) مفتاح العلوم : ١٣٣ .

(٢) بغية الإيضاح : ١١١/٢ ، ١١٢ .

(٣) البيان والتبيين : ٩٧/١ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن : ٦٩/٢ .

(٥) سورة البقرة : ١٧٩ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز : ٤٢٣/٥ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٢/٦ ، وفتح القدير : ٣٦٢/٥ .

السؤال مما ينبغي أن يحذف ، فإن لم يكن فيحذف ويستحي من ذكره ويخفف " (١) .
وقد قرئ على الأصل . يقول الزمخشري : " والاستعمال الكثير على الحذف
والأصل قليل " (٢) .

- ومنه حذف متعلق الجار والمجرور في قوله : " عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ " فعن النبأ متعلق
بفعل محذوف تقديره " يتساءلون " . يقول الزجاج : " الكلام تام في قوله : " عم
يتساءلون " ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول : " يتساءلون عن النبأ
العظيم " فاقضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال
والمجاورة اقتضاباً للحجة وإسراعاً إلى موضع قطعهم " (٣) .

ومنه حذف المفعول للدلالة على العموم فيه وهو متعلق العلم في قوله : " كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ " قضي الأول البعث وفي الثاني الجزاء على إنكاره " أي
" كلا سيعلمون " حقية البعث إذا بعثوا " ثم كلا سيعلمون " الجزاء على إنكاره إذا
دخلوا النار وعوقبوا " (٤) فهما علمان يحصل لهم بعد الموت : علم بحقيقة البعث
وعلم بعاقبة تكذيبهم ، ولذلك حذف المفعول في الموضعين ليعمهما .

ومنه حذف الموصوف في " وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا " فالمراد بالسبع الشداد :
السموات ، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف للعلم به كقوله تعالى :
" حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ " ... ولذلك جاء الوصف باسم العدد المؤنث ، إذ التقدير :
سبع سماوات (٥) .

(١) نظم الدرر : ٢٩٥/٨ .

(٢) الكشاف : ١٧٦/٤ .

(٣) المحرر الوجيز : ٤٢٣/٥ .

(٤) روح المعاني : ٢٠٤/١٥ ، وانظر : تفسير البضاوي : ٥٦٠/٢ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٤/٦ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير : ٢١/٣٠ .

ومنه حذف جملة " ونخرج " في " وَجَنَّتِ أَلْفَاةٌ " والتقدير ونخرج به جنات ألفا، والحذف لدلالة الكلام عليه .

ومنه حذف الفعل في قوله : " وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا " فكل مفعول به لفعل محذوف على الاشتغال أي أحصينا كل شيء أحصيناه . وقرئ بالرفع على الابتداء^(١) .

ومنه حذف جملتين في قوله : " يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " فالإتيان هو الحضور بالمكان الذي يمشي إليه الماشي ، فالإتيان هو الحصول . وحذف ما يحصل بين النفخ في الصور وبين حضورهم لزيادة الإيدان بسرعة حصول الإتيان حتى كأنه يحصل عند النفخ في الصور ، وإن كان المعنى : ينفخ في الصور فتحيون فتسيرون فتأتون^(٢) .

ومنه حذف المفعول في قوله : " إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا " أي لا يرجون ثواب حساب . قال الزجاج : " كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم " ^(٣) .

ومنه حذف المضاف في " حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا " أي كروم أعناب . يقول الشوكاني : " وإذا كان مفازا بمعنى الفوز ، فيقدر مضاف محذوف : أي فوز حدائق وهي جمع حديقة : وهي البستان المحوط عليه ، والأعناب : جمع عنب أي كروم عنب " ^(٤) .

ومنه حذف المبتدأ في قراءة " رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا " برفع الرب والرحمن على أن " رب " خبر مبتدأ مقدر : أي هو

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/١ ، وتفسير أبي السعود : ٣٦٠/٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٨/٣٠ .

(٣) فتح القدير : ٣٦٧/٥ ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٧٤/٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٦٨/٥ ، ٣٦٩ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٢٢/١ .

رب ، والرحمن صفته . وفي قراءة بخفض الأول " رب " على البدل من ربك ، ورفع الثاني " الرحمن " على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن ، ^(١) والحذف لتعينه ، وعدم انصراف الذهن إلى غيره .

ومنه حذف الموصوف في " وَقَالَ صَوَابًا " أي كلاماً صواباً ، وحذف المفعول الأول في " اتَّخَذَ إِلَيَّ رَبِّي مَأْبًا " أي اتخذ الإيمان .. ومنه حذف جملة جواب الشرط المقدر في قوله : " ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيَّ رَبِّي مَأْبًا " أي إن عرفتم أمر ذلك اليوم فمن شاء ... " ^(٢) .

وبعد فتلك أمثلة ونماذج لإيجاز الحذف في سورة النبأ ، وأما إيجاز القصر فمناه يبدو في عرض مشاهد الكون في قوله : " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ... وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا " فهذا الحشد الهائل من الصور والحقائق والمشاهد تذكر في حيز ضيق مكتنز من الألفاظ والعبارات مما يجعل إيقاعها في الحس حاداً ثقيلاً نفاذاً كأنه المطارق المتوالية بلا فتور ولا انقطاع " ^(٣) .

ب- وأما الإطناب فيأتي على أنواع مختلفة لدواع وأسرار بلاغية ^(٤) ، ومنه في سورة النبأ ما يأتي :

التكرير للتأكيد كقوله تعالى : " كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ " وهو يفيد توكيد الإنذار والوعيد على سبيل التهويل والمبالغة في التشديد ، و " ثم " تفيد أن

(١) انظر : فتح القدير : ٣٦٩/٥ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : محمود صافي ، ٢٢٣ ، ٢٢٢/٣٠ ، دار الرشيد ، دمشق ، ط/٤ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .

(٣) في ظلال القرآن : سيد قطب ، ٣٨٠٣/٦ ، ٣٨٠٤ ، دار الشروق ، بيروت ، ط/١٥ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(٤) انظر : الإيضاح : ٣٠/١ وما بعدها ، وبغية الإيضاح : ١٣٣/٢ وما بعدها .

الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول ، حيث نزل التراخي والبعد في المرتبة منزلة التراخي في الزمان^(١).

ومن صور الإطناب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه لفضله جزء آخر مغاير لما قبله . ومنه قوله تعالى : " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ... " فالمفاز مصدر بمعنى الفوز بالنعمة والنجاة من النار ، وقيل للفلاة مفازة تفاؤلاً بالخلاص منها ، وتفسيره - تعالى - المفاز بالحدائق والأعشاب وانتصابهما على أنهما بدل من "مفاز" بدل اشتمال أو بدل كل من كل على طريق المبالغة ... والأعشاب جمع عنب : أي كروم عنب وذكر الأعشاب بعد الحدائق وهي بعض منها اعتناء بها وبياناً لفضلها^(٢).

ومنه ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص كقوله تعالى : " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ... " واختلف في المراد بالروح في الآية على أقوال منها : إنه جبريل عليه السلام . يقول ابن كثير : ويستشهد لهذا القول بقوله : " نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ " وهو المختار كما يقول الرازي^(٣) . وتأسيساً عليه فالروح وهو جبريل - عليه السلام - داخل في عموم الملائكة ، فقد ذكر مرتين : مرة منفرداً ، ومرة ضمن الملائكة ، تكريماً له ، وتبنيها على فضله وعلو منزلته .

٤ - الفصل والوصل :

يقصد علماء البلاغة بالوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل ترك هذا العطف^(٤).

(١) انظر : بغية الإيضاح : ١٣٦/٢ .

(٢) انظر : فتح القدير : ٣٦٨/٥ ، وروح المعاني : ٢١٨/١٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣٠٩/٨ ، والتفسير الكبير : ٢٢/٣١ .

(٤) بغية الإيضاح : ٦٢/٢ .

وهو من أهم أساليب البلاغة وأدقها ، ولأهميته جعله بعض البلغاء حداً للبلاغة حين سئل عنها فأجاب بأنها : " معرفة الفصل من الوصل " ^(١) . ويستهدف باب الفصل والوصل " المناسبات بين المعاني ، وتحديد صلوات بعضها ببعض ... كما يتناول مقاطع الكلام ومفاصله عند منتهى أجزاء معانيه ... " ^(٢) .

وقد عُنيَ به البلاغيون فوضعوا أصوله وقواعده . فمواطن الفصل تتمثل في كمال الاتصال ، وكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع . ومواقع الوصل تتمثل في أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب وأريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي ، وأن تتفق الجملتان خبراً أو إنشأً لفظاً ومعنى أو معنى فقط ، وأن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود ^(٣) . وفيما يأتي إجمال لبلاغة الفصل والوصل في سورة النبأ ، ومن خلاله تتضح المناسبات بين مقاطعها ومعانيها :

افتتحت السورة بفصل متوالٍ في ثلاث آيات بعد الآية الأولى " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ... " .

وهذا الفصل لكمال الاتصال ^(٤) بين هذه الآيات لوقوعها جواباً عن السؤال في الآية الأولى " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ " أو بياناً للإجمال فيها لأنه لما كان الاستفهام مستعملاً في غير طلب الفهم حسن تعقيبه بالجواب عنه بقوله : " عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ " فجاء بياناً لما أريد بالاستفهام من الإجمال لقصد التفتيح ، فبيّن جانب التفتيح ... فكأنه قيل

(١) البيان والتبيين : ٨٨/١ .

(٢) دلالات التراكيب : د. محمد أبو موسى ، ٢٦٨ ، دار التضامن ، نشر مكتبة وهبة ، ط/٢ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .

(٣) انظر : بغية الإيضاح : ٦٢/٢ وما بعدها .

(٤) انظر : شروح التلخيص : ٥٤/٣ .

هل يتساءلون عن النبأ العظيم ... " (١) . وجاءت الآية الثالثة مصدرية باسم موصول وقع نعتاً ثانياً للنبأ ، وجملة " هم فيه مختلفون " صلته . ولما اقتضى تساؤلهم عن النبأ العظيم تهديداً ووعيداً فصلت جملة " سيعلمون " الأولى الاستنافية " لوقوعها موقع الجواب عن السؤال عما قبلها ، ولذلك فصلت ولم تعطف ؛ لأن ذلك طريقة السؤال والجواب " (٢) . ولما أراد تأكيد الإنذار والوعيد تكررت الجملة معطوفة بثم الدالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد .

ويبدأ القسم الثاني الدال على كمال قدرة الله ووحدانيته وإمكان البعث بجملة استنافية " ألم نجعل الأرض مهادا " ، " وجاء هذا الاستئناف بياناً لإجمال قوله : " عن النبأ العظيم . الذي هم فيه مختلفون " ، وسيجيء بعده تكملته بقوله : " إن يوم الفصل كان ميقاتا " (٣) .

ويلي الفصل في صدر هذا المقطع وصل متوالٍ في بقية آياته ، يلفت النظر ، ويوقظ الحس ، ويوجب الاهتمام " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا " .

تأمل جمال هذا الوصل وبلاغته في هذه الآيات الكريمة بعد الفصل السابق . فالواو فيها قد وصلت الجمل بعضها ببعض لمكان الصلة بينها والتناسب " فالوصل في هذه الأسئلة التقريرية جاء ليؤدي فكرة الاتصال والاشتراك في الحكم " (٤) .

(١) التحرير والتنوير : ٩/٣٠ .

(٢) المرجع نفسه : ١٠/٣٠ .

(٣) المرجع نفسه : ١٢/٣٠ .

(٤) التعبير الفني في القرآن : ٢٥٦ .

وتذوق حسن الوصل ودقة النظم في قوله : " وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا " فهي معطوفة على التقرير الذي في قوله : " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا " والتقدير وأخلقناكم أزواجا " فكان التقرير هنا على أصله إذ المقرر عليه هو وقوع الخلق ، فلذلك لم يقل : ألم نخلقكم أزواجا ... والمعطوف عليه وإن كان فعلاً مضارعاً فدخل " لم " عليه صيره في معنى الماضي لما هو مقرر من أن " لم " تقلب معنى المضارع إلى الماضي ، فلذلك حسن عطف " خلقناكم " على " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . والجبال أوتادا " لتناسب الجملتين في الفعلية ، فكلتاها تقرير على شيء مضى ^(١).

ويأتي القسم الثالث بيانا لما أجمله قوله : " عَنِ النَّبِّ الْعَظِيمِ . الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ " مصدرا بآية " إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا " ، فجملة " إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ... " استئناف بياني تلا قوله : " لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ... " فيما قصد به من الإيماء إلى دليل البعث ^(٢). فالفصل فيه لشبه كمال الاتصال .

ولما ذكر يوم الفصل بيته بقوله : " يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا " فيوم ينفخ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له وفائدته : زيادة تفخيم ذلك اليوم وتهويله بتفصيل بعض أحواله وأهواله ^(٣). وعطف جملة " فتأتون " على جملة " ينفخ " بالفاء لإفادة تعقيب النفخ بمجيئهم إلى الحساب . مع حذف ما يحصل بين النفخ والحضور للدلالة على سرعة الإتيان كما أسلفت .

ثم يأتي تفصيل أحوال يوم الفصل والجزاء مقدا وصف أحوال الكافرين ؛ لأن المقام مقام تهديد ؛ إذ افتتحت السورة بذكر تساؤل المشركين وتكذيبهم ، ويأتي وصف عذاب الكافرين مصدرا بآية : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا " وهي منفصلة

(١) انظر : التحرير والتنوير : ١٤/٣٠ ، ١٥ ، وانظر : بغية الإيضاح : ٩٣/٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٤/٣٠ ، ١٥ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٧/٦ ، وفتح القدير : ٣٦٥/٥ ، والتحرير والتنوير : ٢٨/٣٠ .

عما قبلها للاستئناف البياني فهي " مستأنفة استئنافاً بيانياً عن جملة " إن يوم الفصل ... " وماوليتها ؛ لأن ذلك مما يثير في نفوس السامعين تطلب ماذا سيكون بعد تلك الأحوال فأجيب بمضمون " إن جهنم كانت مرصداً ... " (١).

ولما كانت جملة " لا يذوقون فيها ... " بياناً لقوله : " لا تبين فيها أحقاباً ... " فصلت عنها ، فبين الجملتين كمال اتصال ، والاستثناء منقطع ، يعني لا يذوقون فيها برداً يخفف عنهم حر جهنم ، ولا شراباً يسكن من عطشهم ، ولكن يذوقون الحميم والغساق (٢).

ولما حكم الله عليهم بذلك العذاب الشديد علله بقوله : " إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ... " ؛ ولذلك فصلت هذه الجملة لوقوعها موقع التعليل لجملة " إِنَّ جَهَنَّمَ ... " و " إِنَّ " الواقعة في صدر هذه الجملة التعليلية " إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا " للاهتمام بالخبر وليست لرد الإنكار كما أشرت فيما مضى .

هذا ، وبعد أن فرغ السياق من ترهيب الكافرين ووصف عذابهم انتقل إلى ترغيب المتقين ووصف نعيمهم : " إن للمتقين مفازاً ... " ولم يفصل بالواو بين مشهدي النعيم والعذاب لما بينهما من كمال التباين والتضاد .

وبعد فعلل فيما أسلفت ما يشير إلى تمام الائتلاف والتناسب بين معاني آيات هذه السورة ومقاطعها وبعض أسرار الفصل والوصل فيها .

٥- نظام الفواصل :

الفاصلة في اللغة " الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ، وقد فصلّ النظم . وعقد مفصلّ أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة " وتطلق الفواصل في الاصطلاح على " الكلمات التي تحتّم بها الآيات من القرآن " (٣).

(١) التحرير والتنوير : ٣٠/٣٠ ، ٣١ .

(٢) انظر : البلاغة القيمة : ١١ .

(٣) انظر : لسان العرب : مادة " فصل " ، والإتقان في علوم القرآن : ١٢٤/٢ ، ومن بلاغة القرآن : ٧٥ .

والفاصلة القرآنية ركن من أركان الآية لفظاً ومعنى ، تتعلق بمضمونها ، وتناسب مع سياق نظمها ، ولها وظيفتها الدلالية والإيقاعية فيها " يتم معنى الآية ويكتمل جرسها الصوتي " (١) . وهي تمثل جزءاً مهماً من إيقاع السورة .

وقبل أن أتحدث عن طبيعة الفواصل في سورة النبأ ووظيفتها أود أن أشير أن القارئ يشعر بالمناسبة التامة والانسجام الواضح بين معاني هذه السورة وإيقاع ألفاظها وتراكيبها ؛ فهو يتنوع بتنوع أقسامها ومقاطعها . فعدد كلمات كل آية من آيات القسمين الأولين من (١ - ١٦) أقلّ من كلمات آيات القسم الثالث : " إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ... " (١٧ - ٢٠) . ويعلل ذلك أحد الباحثين بأن : " الحماسة والتدفق في المقطعين الأولين تحتاج إلى فواصل قصيرة متلاحقة بينما الوصف والتصوير في المقطع الثالث أقل حاجة إلى ذلك " (٢) . وهذا مظهر من مظاهر التناسق بين الصوت والمعنى .

وفي القسم الرابع يتجلى هذا التناسق " فالإدغام في النونات وكثرة التنوين والمدود والحركات توحى بامتداد الزمن إلى آفاق لا منتهى لها ، واسترسال في عذاب أبدي دائم " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّٰغِينَ مَابًا . لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وَفَاقًا " . وحينما ينتقل السياق إلى وصف نعيم المؤمنين نجد الكلمات والعبارات تنساب رخية هادئة فيها تطاول وامتداد وفيها سرور وانسراح وفيها جلال ووقار .

وتختتم السورة " بالإنذار الهادئ والزفرة الحرى التي يطلقها من فاته الركب ، وضل عن السبيل " (٣) . وهكذا تأتي ألفاظ هذه السورة الكريمة مرآة لمعانيها .

(١) انظر : من بلاغة القرآن : ٧٥ .

(٢) انظر : التعبير الفني في القرآن : ٢٥٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ٢٥٧ .

- وإذا تتبعنا الآيات في سورة النبأ فسنجد تنوعاً وتلويناً في حروف الروي التي تنتهي بها فواصلها . فقد تألفت من تسعة حروف هي :
- ١- حرف النون في الآيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥) فقد ختمت كل آية بقوله " يَتَسَاءَلُونَ ، مُخْتَلِفُونَ . سَيَعْلَمُونَ " .
 - ٢- حرف الميم في الآية الثانية " عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ " وهذه الآيات الخمس التي تمثل المقطع الأول يوقف عليها كلها بالسكون مسبوقاً بحرفي مد : الواو والياء ، وللسكون بعد المد وقع ترتاح له الأذن . يقول سيبويه " إن العرب إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا" (١) .
 - ٣- حرف الدال في الآيات (٦ ، ٧ ، ١٢ ، ٢١) فقد ختمت كل آية بقوله تعالى : " مِهَادًا . أَوْ تَادًا . شِدَادًا . مِرْصَادًا " .
 - ٤- حرف الجيم في الآيات : (٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨) .
 - ٥- حرف التاء في الآيات : (٩ ، ١٥ ، ١٧) .
 - ٦- حرف السين في الآية العاشرة : " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا " .
 - ٧- حرف الشين في الآية الحادية عشرة : " وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا " .
 - ٨- حرف الفاء في الآية السادسة عشرة : " وَجَنَّتِ أَلْفَافًا " .
 - ٩- حرف الباء في الآيات (١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ - ٤٠) ، والباء أكثر الحروف التي بنيت عليها الفاصلة في هذه السورة ، فقد وردت في ست عشرة آية ، وهي من الحروف الشفوية التي يسهل نطقها في المخرج .

(١) انظر : الكتاب : سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، ٢/٢٩٩ ، ط/١ ، بولاق ، القاهرة ١٣١٦هـ ، وانظر : البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١/٦٨ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١/٦٨ ، ط/٢ ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م ، ومن بلاغة القرآن : ٧٥ .

ومما يستدعي النظر أن جميع فواصل السورة بعد الخمس الأول أي من (٦ - ٤٠) تتألف من مقطع يتكون من صوت متحرك كالـدال في " مَهَادًا " والجيم في " تُجَاجًا " والسين في " لِبَاسًا " والشين في " مَعَاشًا " والفاء في " أَلْفَافًا " والباء في " شَرَابًا " ومن صوتين ممدودين هما : الألف التي قبل الروي والألف التي بعدها ، وذلك مظهر لوحدة الجرس في فواصل السورة على الرغم من تنوع حروف رويها . وفي وحدة الجرس مع التنوع تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه ؛ فلهذين المدين وظيفة إيقاعية ودلالية تتمثل في السماح للصوت بالارتفاع والامتداد في نهاية كل آية بمقدار متناسب ، وامتداد الصوت مرتين في نهايات تلك الآيات يسمح للإيقاع الممدود بالوضوح التام في الأسماع ، فيسهل في إيضاح المعنى وفي بلاغة السورة .

هذا وقد جاءت الفواصل في كل آية من آيات هذه السورة الكريمة متمكنة مطمئنة غير نافرة ولا قلقة ، مناسبة لما قبلها ، يكتمل بها معنى الآية بحيث لو حذفت أو غيرت لاختل المعنى .

* * *

الفصل الثالث : خصائص التصوير في سورة النبا

التصوير في اللغة مصدر صوره تصويراً فتصور ، ويأتي بمعنى الشكل والهيئة والصفة . جاء في لسان العرب " الصورة في الشكل ... والجمع صُورٌ وصُورٌ وصُورٌ ، وقد صَوَّرَه فتصور ... وتصورت الشيء : توهمت صورته ، فتصور لي . والتصاوير التماثيل ... قال ابن الأثير : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته ... " (١) .

والتصوير في الدراسات البلاغية يعني التعبير بالصورة البيانية عن المعاني لتقريبها إلى الأذهان وإثارة الوجدان " والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلالة لا يخاطب الذهن وحده ، وإنما يخاطب معه الحس والوجدان ، ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس " (٢) .

والتصوير من وسائل القرآن في تحقيق أغراضه وإيصال معانيه ، وهو - كما يقول الأستاذ سيد قطب : " الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ... " (٣) .

وقد ربط عبدالقاهر الجرجاني وسائل التصوير البياني والبديعي بالنظم وعدها جزءاً منه كما أشرت في التمهيد .

(١) انظر : لسان العرب : مادة " صور " .

(٢) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبدالفتاح الخالدي ، ٧٧ ، دار الفرقان ، عمان ، ط / ١ ،

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

(٣) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ٣٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ط : ٣ (بلا تاريخ) .

وصور البيان والبديع وسائر أساليب البلاغة تدخل في مفهوم الصورة الأدبية باعتبارها " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه أو سامعيه " (١). أو باعتبارها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن نظمها الشاعر في سياق بياني خاص ، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني " (٢).

وقد عبرت سورة النبأ عن كثير من المعاني والحقائق بصور بيانية رائعة تألف نظمها واتسق على أروع طريقة في التعبير والتصوير . وتنوع طرق تصوير المعاني في هذه السورة الكريمة فقد يرد مرة بطريق التشبيه ، وتارة بطريق الاستعارة وطوراً بطريق الكناية وحيناً بطريق البديع .

فمن التصوير بالتشبيه قول الله تعالى : " ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً ... وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً ... " .

ففي هذه الآيات الكريمة استدلال على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ليؤمن المخاطبون بما جاء به الرسول - ﷺ - . استدلال على ذلك بعجائب مخلوقاته تعالى وعظيم نعمه ، ومنها الأرض والجبال ونظام النوم في الإنسان ووقته الأليق به وهو الليل ، وقد وظفت الآيات فيما وظفت أسلوب التشبيه لأداء ذلك المعنى وتحقيق ذلك الغرض ، ففيها نطالع صوراً تشبيهية متتابعة . بدأت بقوله : " ألم نجعل الأرض مهاداً " . أي ألم نجعل هذه الأرض ممهدة للسير عليها والعمل بها والحياة

(١) أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، ٢٤٢ ، دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، ط/ ٨ ، ١٩٧٣ م .

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : د. عبدالقادر القط ، ٤٣٥ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

عليها " فهي للخلق كالمهد للصبى ، وهو الذي مهد له فينوم عليه " (١). ففي الآية صورة تشبيهية ، فقد شبه الله تعالى الأرض بالمهاد وهو الفراش اللين الوطيء في الاستقرار عليه والانتفاع به . قال البقاعي : " أي فراشاً لكم موطناً مذلاً يمكن الاستقرار عليه ؛ لتصرفوا فيها كيف شئتم " (٢). وهي صورة بليغة غرضها توضيح حالة من أحوال الأرض عند خلقها للتأثير في نفوس المخاطبين وإيقاظ عقولهم ولفت أنظارهم ، وهي كونها ممهدة للخلائق ذلولاً ملائمة لهم قارة ساكنة ، وذلك دليل على حكمة الله تعالى وكمال قدرته على البعث أو المعاد ، وفيه تذكير بفضل الله يدفع الإنسان إلى الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ من النور والهدى . وقد امتنَّ الله تعالى على عباده بجعل الأرض على هذه الصفة في غير موضع من القرآن الكريم (٣). وفي ذلك إشارة إلى عظم هذه النعمة ودلالاتها على كمال قدرة الله تعالى وحكمته البالغة .

ومن لطائف النظم في إطار هذه الصورة دقة التعبير بنجعل دون نخلق كما أشرت فيما مضى ، واختيار " مهاداً " وهي لفظة دقيقة مصورة موحية . فقد صورت الغرض من التشبيه بوضوح وأدته في إيجاز بليغ عجيب فأغنت عن ألفاظ كثيرة يمكن أن تعبر عن تلك الصفة التي خلقت الأرض عليها هذا مع حذف عنصرين من عناصر الصورة التشبيهية في هذه الآية أو ركنين من أركانها : أعني أداة التشبيه والصفة المشتركة بين طرفيه .

ويعطف السياق على هذه الصورة صورة أخرى في قوله تعالى : " والجبال أوتادا " أي وجعلنا الجبال كالأوتاد لتسكن الأرض ولا تتحرك ولا تضطرب بمن

(١) التفسير الكبير : ٣١/٦ .

(٢) نظم الدرر : ٢٩٧/٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢ ، وسورة طه : آية ٥٣ ، وسورة الذاريات : آية ٤٨ .

عليها . قال الزمخشري : " أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد " ويقول ابن كثير : " أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن فيها " ^(١) . ففي الآية صورة تشبيهية بليغة ، فالجبال للأرض كالأوتاد للخيام تثبتها وتمنعها من الاضطراب كما تمنع الجبال الأرض أن تميد بأهلها . وهذه الصورة مكملة للصورة السابقة . يقول الرازي : " قوله تعالى : " والجبال أوتادا " أي للأرض كي لا تميد بأهلها ، فيكمل كون الأرض مهادا بسبب ذلك " ^(٢) .

وتأتي الصورة الثالثة في هذا السياق لبيان وإيضاح ذلك الاستدلال بأقوى أحوال الإنسان شيها بالموت الذي يتلوه البعث وهو النوم . فقال تعالى : " وجعلنا نومكم سباتا " . والسبات اسم مصدر بمعنى السبت أي القطع ، وعليه فالمعنى " وجعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم " .

وقيل السبت النوم ، والمسبوت الميت ، من السبت وهو القطع ، لأنه مقطوع عن الحركة ، والمعنى وجعلنا نومكم موتاً ^(٣) . وهو اختيار المحققين كما يقول الألوسي لأنه أنسب بالمقام ^(٤) .

وعليه ففي الآية تشبيه بليغ ، " فشبّه النوم لما فيه من راحة الجسد - دون أن تفارقه الروح - بالموت ، لأنه أقوى في الظهور ، فجعل النوم بمنزلة الموت في السكون وتلاشي الحركة " ^(٥) . والإضافة في " نومكم " " لزيادة التنبية للاستدلال أي أن دليل البعث قائم بين في النوم الذي هو من أحوالكم وأيضاً لأن في وصفه بسبات امتنانا ، والامتنان خاص بهم (أي بالمخاطبين) " ^(٦) . والانقطاع عن

(١) الكشاف : ١٧٧/٤ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣٠٢/٨ .

(٢) التفسير الكبير : ٦/٣١ ، ٧ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٧/٣١ ، وفتح القدير : ٣٦٤/٥ .

(٤) انظر : روح المعاني : ٢٠٦/١٥ .

(٥) البلاغة الفصيحة : ٧ .

(٦) التحرير والتنوير : ١٧/٣ .

الحركة والإدراك والنشاط بالنوم يريح الأجساد والأعصاب ، ويعوضها عن الجهد المبذول في حالة الصحو والانشغال بأمور الحياة ، وهو كما يقول صاحب الظلال : " هدنة للروح من صراع الحياة العنيف ... وضرورة من ضرورات تكوين الحي ، وسر من أسرار القدرة الخالقة ، ونعمة من نعم الله لا يملك إعطاءها إلا إياه ، وتوجيه النظر إليها على هذا النحو القرآني ينبه القلب إلى خصائص ذاته ، وإلى اليد التي أودعتها كيانه ، ويلمسه بلمسة تثير التأمل والتدبر والتأثير والتأثر " (١).

وتتميماً للاستدلال بالنوم يعطف عليه الاستدلال بوقته الأليق به وهو الليل " وجعلنا الليل لباساً " أي جعلناه ساتراً لكم يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ويلبسكم ظلمته فتغشيكم كما يغشيكم اللباس (٢). ففي الآية تشبيه الليل باللباس ، والصفة المشتركة الستر ؛ لأن كلا منهما يستر المتلبس به . يقول ابن الأثير : " وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن ، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم " (٣).

ومن التصوير بالتشبيه في سورة النبأ قوله تعالى : " وفتحت السماء فكانت أبواباً وسيّرت الجبال فكانت سراباً " وتأتي هاتان الصورتان البليغتان في سياق بيان حقيقة يوم الفصل وعلاماته وبعض مشاهدته ، ومنها انشقاق السماء وتسيير الجبال وفناؤها وتلاشيها . وفسر الفتح في الآية الأولى بالشق ففتح السماء انشقاقها كما أسلفت " أي فصارت شقوقها لسعتها كأبواب أو فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب ... " (٤). ففيها تشبيه السماء بالأبواب في التشقق والانصداع ، وهي صورة تشبيه بليغة .

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٨٠٥ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود : ٦/٣٥٥ ، وفتح القدر : ٥/٣٦٤ .

(٣) المثل السائر : ٢/١٣٩ .

(٤) روح المعاني : ١٥٠٢١٢ .

وتليها صورة للجبال في ذلك اليوم الموعود " وسيرت الجبال فكانت سرابا " " أي سيرت عن أماكنها في الهواء ، وقلعت عن مقارها ، فكانت هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب ، والمعنى أن الجبال صارت كلا شيء كما أن السراب يظن الناظر أنه ماء وليس بماء " (١). ففي الآية تشبيه الجبال بالسراب في " أن كلا منهما يرى على شكل شيء وليس بذلك الشيء ... " (٢). وقد أشرت فيما مضى إلى بعض أسرار النظم الواردة في إطار هاتين الصورتين البليغتين .

هذا وإذا كان النظم القرآني في سورة النبا قد اعتمد التصوير بالتشبيه طريقا في تجلية حقائقه ومضامينه فإن التأمل في هذه الصور يدرك قيمتها البلاغية وأثرها في إيضاح المعاني والأغراض وتقريرها في النفوس وبتثا في القلوب . فمن مظاهر بلاغتها التناسب والتلاؤم بين طرفي التشبيه فيها . فخلق الأرض ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة لا يلائمها في هذه الحالة إلا الفراش المهد اللين الوطيء ، وإنه ليصور الغرض من التشبيه أبلغ تصوير .

وإذا كان التشبيه الجيد البليغ كما يرى النقاد (٣) تتجاوز وظيفته حدود التشابه الحسي الخارجي ويراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة أو بيان حقيقة فإن التشبيهات القرآنية في هذه السورة وفي سائر سور القرآن الكريم قد حققت أهدافها وأدت أغراضها أبلغ أداء وأدق كما أشرت آنفا . وليس الحس وحده هو الذي يجمع بين طرفي الصورة التشبيهية في التشبيهات السابقة ، ولكنه الحس والنفس معا فلفظ السراب في قوله تعالى : " وسيرت الجبال فكانت سرابا " يصور للعين منظر الجبال

(١) فتح القدير : ٣٦٥/٥ .

(٢) روح المعاني : ٢١٣/١٥ .

(٣) انظر : الديوان في الأدب والنقد : عباس العقاد والمازني ، ١٧ ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٢١ م ، والنقد

الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال ، ٤٤٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، والنقد والنقاد

المعاصرون : د. محمد مندور ، ٦٨ ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة (بلا تاريخ) .

وقد صارت هباءً منبثاً لا تتماسك أجزاءؤها ، ويوحى في الوقت ذاته إلى النفس بمعنى فناء تلك الجبال وتلاشيها في ذلك اليوم الموعود .

ومن التصوير بالاستعارة قول الله تعالى : " وبنينا فوقكم سبعاً شداداً " أي خلقنا سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور^(١) . فقد شبه البناء بالخلق ، واستعير " فعل بنينا لمعنى خلقنا ما هو عال فوق الناس ؛ لأن تكوينه عالياً يشبه البناء . ولذلك كان قوله " فوقكم " إيحاءً إلى وجه الشبه في إطلاق فعل " بنينا " وليس ذلك تجريد للاستعارة ؛ لأن الفوقية لا تختص بالمبنيات ، مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار والنظر في تلك السبع الشداد " (٢) . والتعبير بالبناء مع أنه مستعمل في أسافل البيت والسقف في أعلاه أبلغ هنا من التعبير بالخلق وأدق " لأن البناء يكون أبعد من الآفة والانحلال من السقف ففيه إشارة إلى أنه وإن كان سقفاً لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء " (٣) ، ومن أسرار النظم في هذه الآية تقديم الظرف " فوقكم " على المفعول " سبعاً " للتشويق إليه مع مراعاة الفواصل^(٤) .

هذا ولما عبر عن خلق السموات بالبناء ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها بأسلوب التصوير الاستعاري فقال تعالى : " وجعلنا سراجاً وهاجاً " أي وجعلناكم أو جعلنا في السبع الشداد شمسا منيرة ساطعة يتوهج ضوءها لأهل الأرض ويتوقد^(٥) .

(١) انظر : التفسير الكبير : ٨/٢١ ، وتفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ٢٠/٣٠ ، ٢١ .

(٣) التفسير الكبير : ٨/٣١ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود : ٣٥٥/٦ .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٠٣/٨ ، والتحرير والتنوير : ٢٢/٣٠ .

فقد استعيدت لفظة " السراج " للشمس لتشابههما في التوقد والحرارة والإضاءة واختيار كلمة السراج دقيق كل الدقة ، ففي السراج توقد وحرارة وضوء وهو ما يتوافر في الشمس^(١) . وإيثار التعبير يجعلنا دون خلقنا لأن كونها سراجا وهاجا حالة من أحوالها كما أشرت فيما مضى .

ومنه قوله تعالى : " إن جهنم كانت مرصادا " والمرصاد من صيغ المبالغة على زنة مفعال كالمنظار والمعمار والمطعان للراصد الشديد الرصد والترقب ، وصفت به جهنم على طريقة الاستعارة المكنية ، فقد شبهت بالرصد أي الحرس ففيها تشخيص لجهنم ، فهي ترصد أعداء الله وترقبهم كما يرصد الإنسان عدوه ويرقبه ليأخذه على حين غرة . وقيل المرصاد : المكان الذي يرصد فيه الراصد عدوه كالمضمار أي أن جهنم في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبهم فيها^(٢) .

ومن التصوير بالكناية والتعريض قوله تعالى : " وخلقناكم أزواجا " . فالمراد بالأزواج الأصناف : الذكور والإناث ، وقيل غير ذلك^(٣) . وهذه الجملة معطوفة على جملة " ألم نجعل الأرض مهادا " فهي في معنى أما خلقناكم أيها الناس أصنافاً ذكوراً وإناثاً لينتظم أمر التاج والتناسل ، ولا تنقطع الحياة على ظهر هذا الكوكب الأرضي . وفي هذا الاستدلال " حمل للمخاطبين على الشكر بالإقبال على النظر فيما بُلغ إليهم عن الله الذي أسعفهم بهذه النعم على لسان رسول الله ﷺ ، وتعريض بأن إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية ومكابرتهم فيما بلغهم من ذلك كفران لنعمة واهب النعم " ^(٤) . وقد مرت الإشارة إلى دقة التعبير بفعل الخلق في هذه الآية .

(١) انظر : في ظلال القرآن : ٣٨٠٦/٦ .

(٢) انظر : التفسير الكبير : ١٢/٣١ ، وفتح القدير : ٣٦٦/٥ ، والتحرير والتنوير : ٣٢/٣٠ .

(٣) انظر : فتح القدير : ٣٦٤/٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٦/٣٠ .

ومنه قوله تعالى : " لا بئين فيها أحقابا " فهو كناية عن التأييد أي ما كثر في النار أبدا . قال القرطبي : " أي ما كثر في النار ما دامت الأحقاب ، وهي لا تنقطع ، فكلما مضى حُقبُ جاء حقب ، وهو الدهر والأحقاب الدهور " (١) .

ومن أسرار النظم في الآية حذف لفظة الآخرة ؛ لأن المعنى فيها " لا بئين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها ؛ فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه " (٢) . ومنها إثارة الأحقاب على الأيام " لأن الأحقاب أهول في القلوب ، وأدل على الخلود ... وهذا في حق المشركين ، ويمكن حمل الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب ... " (٣) .

ومنه قوله تعالى : " إنهم كانوا لا يرجون حسابا " ففيه نفي لرجائهم وقوع يوم الحساب ، وتعريض برجاء المؤمنين وقوعه . " والرجاء اشتهر في ترقب الأمر المحبوب والحساب ليس خيرا لهم حتى يجعل نفي ترقبه من قبيل نفي الرجاء ، فكان الظاهر أن يعبر عن ترقبه بمادة التوقع الذي هو ترقب الأمر المكروه ، فيظهر أن وجه العدول عن التعبير بمادة التوقع إلى التعبير بمادة الرجاء أن الله لما أخبر عن جزاء الطاغين وعذابهم تلقى المسلمون ذلك بالمسرة ، وعلموا أنهم ناجون مما سيلقاه الطاغون ، فكانوا مترقبين يوم الحساب ترقب رجاء ، فنفي رجاء يوم الحساب عن المشركين جامع بصريحه معنى عدم إيمانهم بوقوعه ، وبكنايته رجاء المؤمنين وقوعه بطريقة الكناية التعريضية تعريضا بالمسلمين ، وهي أيضا تلويحية لما في لازم مدلول الكلام من الخفاء " (٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١١٩/١٠ .

(٢) المصدر السابق : ١١٩/١٠ .

(٣) المصدر السابق : ١١٩/١٠ .

(٤) التحرير والتنوير : ٣٥/٣٠ .

ومنه قوله تعالى : " لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا " فهو كناية عن معيشة أهل الجنة في صفاء ومودة . فكفى عن انتفاء اللغو والكذب عن شارب خمر الجنة بأنهم لا يسمعونها فيها ، لأنه لو كانا فيها لسمعوه ، وهي كناية لطيفة توحى بأن أهل الجنة منزهة أسماعهم عن اللغو والكذب ونحوهما ^(١) .

ومنه قوله : " لا يملكون منه خطاباً " فضمير " لا يملكون " لأهل السموات والأرض أي لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه ، فالجملة كناية عن نفي قدرتهم أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه تعالى ^(٢) .

ومن التصوير البديعي التقابل بين مشهد الطاغين في الجحيم " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ... فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا " وبين مشهد المتقين في جنة النعيم " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ... جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا " .

فالطاغون خاسرون ، تترصد بهم جهنم ، وترقبهم فلا يفلتون منها ولا يتجاوزونها ، فهي مأبهم ومقامهم ، لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً إلا ماء حاراً يشوى وجوههم وحلوقهم وبطونهم وإلا ما يغسق ويسيل من أجسادهم من صديد ونحوه ، وذلك جزاء يوافق أعمالهم الفاسدة . أما المتقون فإنهم فائزون بجنة النعيم ، لهم فيها حدائق وأعناب وكواعب أتراب ولهم كأس مليئة هنيئة ، وحياتهم مصونة عن اللغو والتكذيب ، فهم في مودة وصفاء وفي رفعة ومتمتع في دار الخلود ، " جزاء من ربك عطاء حساباً " .

والتقابل مظهر من مظاهر التناسق البلاغي ، وطريقة من طرق التصوير ^(٣) ، استخدمه القرآن كثيراً لتنسيق صورته التي يرسمها بالألفاظ ، وينسق بينها بالمقابلات الدقيقة فيؤدي المعنى في صورة معجزة مؤثرة بيّنة ؛ لأن الأشياء تتميز بأضدادها .

(١) انظر : المرجع نفسه : ٤١/٣٠ ، ٤٢ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود : ٣٦١ ، وفتح القدير : ٣٧٠/٥ .

(٣) انظر : التصوير الفني في القرآن : ٨٠ وما بعدها .

الخاتمة :

- وبعد ، فلعل فيما ذكرت ما يكشف عن بعض مظاهر الإعجاز النظمي في سورة النبأ ومنه يمكن أن أسجل النتائج الآتية :
- ١- النظم في اللغة يأتي بمعنى التأليف والجمع والضم والاتساق . وفي الاصطلاح " تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل " . وقد انتهى مصطلح النظم إلى هذه الدلالة بجهود كثير من العلماء والأدباء أبرزهم عبدالقاهر الجرجاني .
 - ٢- يلتقي معنى النظم بالأسلوب عند عبدالقاهر بيد أن النظم هو الشائع في الدراسات القرآنية .
 - ٣- موضوع سورة النبأ وغرضها العام : " إثبات عقيدة البعث والجزاء والدلالة على أن يوم القيامة ثابت لا ريب فيه " . وحوله تدور آياتها من مطلعها إلى ختامها .
 - ٤- جاءت معانيها في نسق بلاغي معجز يتسم بالوضوح والقوة والجمال .
 - ٥- من خصائص الألفاظ تميزها بدقة اختيارها وتمكنها في موضعها ، ومنها تنوعها في التعبير بها عن المعنى ، وتمثل في التذكير والتعريف ، والإظهار والإضمار ، والتعبير بالماضي عن المضارع ، والاتفات .
 - ٦- من خصائص التراكيب : التقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب .
 - ٧- من خصائص التصوير : التشبيه والاستعارة والكناية والمقابلات .
- هذا والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى : د. شفيع السيد ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .
- ٣- الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر : د. عبدالقادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .
- ٤- الإتقان فى علوم القرآن : جلال الدين السيوطى ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٧٨م .
- ٥- أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تح : عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .
- ٦- الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٦ ، ١٩٦٦م .
- ٧- أصول النقد الأدبى : أحمد الشايب ، دار الاتحاد العربى ، القاهرة ، ط/٨ ، ١٩٧٣م .
- ٨- الإعجاز البيانى للقرآن : د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٨٧م .
- ٩- الإعجاز النظمى للقرآن : د. عبدالحميد العبيسى ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
- ١٠- الإيضاح فى علوم البلاغة : الخطيب القزوينى ، تح : د. محمد عبدالمنعم خفاجى ، دار الكتاب اللبنانى ، ط/٥ ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
- ١١- البحر المحيظ : أبو حيان الأندلسى ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .
- ١٢- البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين الزركشى ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط/٢ ، ١٣٩١هـ = ١٩٧٢م .
- ١٣- البرهان فى وجوه البيان : إسحاق بن إبراهيم بن وهب ، تح : حنفى محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

- ١٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ، ط/٦ (بلا تاريخ).
- ١٥- البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط/٥ . (بلا تاريخ) .
- ١٦- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار : د. عبدالفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- ١٧- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط/٢ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ١٨- البلاغة القيمة : د. عبدالقادر حسين ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .
- ١٩- بلاغة الكلمة والجمل والجمل : د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط/١ ، ١٩٨٨ م .
- ٢٠- بيان إعجاز القرآن : حمد بن محمد الخطابي - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تح : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م .
- ٢١- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ط/٤ ، بيروت ، ١٩٤٨ م .
- ٢٢- تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .
- ٢٣- تأويل مشكل القرآن : عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تح : السيد أحمد صقر ، دار التراث القاهرة ، ط/٢ ، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
- ٢٤- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ط/١ ، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م .
- ٢٥- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط/٣ (بلا تاريخ) .
- ٢٦- التعبير الفني في القرآن : د. بكرى شيخ أمين ، دار الشروق ، بيروت ، ط/٣ ، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
- ٢٧- التعريفات : الشريف علي بن محمد الجرجاني ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

- ٢٨- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو السعود محمد ابن محمد العمادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٢٩- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل : عبدالله بن عمر البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٣٠- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تح : سامي بن محمد السلامة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- ٣١- التفسير الكبير : فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢١ هـ .
- ٣٢- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط / ٢ ، ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م .
- ٣٣- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تح : هشام البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م .
- ٣٤- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : محمود صافي ، دار الرشيد ، دمشق ، ط / ٤ ، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- ٣٥- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي : شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م .
- ٣٦- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط / ٢ ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م .
- ٣٧- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية / ط / ٢ ، ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
- ٣٨- دلالات التراكمي : د. محمد أبو موسى ، دار التضامن ، نشر مكتبة وهبة ، ط / ٢ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .
- ٣٩- دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ، تصحيح وتعليق : محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

- ٤٠- الديوان في الأدب والنقد : عباس العقاد وعبدالقادر المازني ، القاهرة ، ط / ١ ، ١٩٢١ م .
- ٤١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود الألوسي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م .
- ٤٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م .
- ٤٣- شروح التلخيص : سعد الدين التفتازاني ، بهاء الدين السبكي ، ابن يعقوب المغربي ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .
- ٤٤- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م .
- ٤٥- علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ٢ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
- ٤٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : الحسن بن رشيق القيرواني ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ، ط / ٤ ، ١٩٧٢ م .
- ٤٧- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ).
- ٤٨- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط / ١٥ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
- ٤٩- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، بولاق ، القاهرة ، ط / ٣ ، ١٣٠٢ هـ .
- ٥٠- الكتاب : سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، ط ١ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣١٦ هـ .
- ٥١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله محمود ابن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت (بلا تاريخ) .
- ٥٢- لباب النقول في أسباب النزول : جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط / ٢ ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م .

- ٥٣- لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط/٦
١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .
- ٥٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، تح : د. أحمد الحوفي
و.د. بدوي طبانة ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط/٢ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- ٥٥- المحرر الوجيز : ابن عطية الأندلسي ، تح : المجلس العلمي بفاس ، ١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م .
- ٥٦- مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت (بلا تاريخ) .
- ٥٧- معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجاج ، تح : د. عبدالجليل شلبي ، عالم الكتب
بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
- ٥٨- المعجم الوسيط : إخراج : د. إبراهيم أنيس وزملائه ، ط/٢ ، دار الفكر (بلا تاريخ) .
- ٥٩- المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبدالجبار الأسد آبادي ، تح : أمين الخولي
مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ط/١ ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م .
- ٦٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب : جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري ، دار
الفكر ، ١٩٦٩م .
- ٦١- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، مطبعة مصطفى الحلبي ،
القاهرة ، ط/١ ، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م .
- ٦٢- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، تح : محمد خليل عيتاني ، دار
المعرفة ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م .
- ٦٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : أبو الحسن الأشعري ، تح : محمد محيي الدين
عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٢ ، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .
- ٦٤- مقدمة ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون : دار التحرير ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ -
١٩٦٦م .
- ٦٥- من بلاغة القرآن : د. أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ،
١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م .

- ٦٦- من بلاغة النظم العربي : د. عبدالعزيز عرفة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .
- ٦٧- من منهل الأدب الخالد : محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط/٤ ، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م .
- ٦٨- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبدالفتاح الخالدي ، دار الفرقان ، عمان ، ط/١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- ٦٩- نظرية عبدالقاهر في النظم : د. درويش الجندي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- ٧٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .
- ٧١- النظم الفني في القرآن : عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة (بلا تاريخ) .
- ٧٢- النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م .
- ٧٣- النقد والنقاد المعاصرون : د. محمد مندور ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة (بلا تاريخ) .
- ٧٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، تح : د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٨٥م .

* * *